قاهرة إسماعيل

"باريس على ضفاف النيل"

تأليـــف: سينثيا مينتي

ترجمـــة : أحمد محمود

مراجعة وتقديم : جليلة القاضي

المشروع القومي للترجمة

المركز القومي للترجمة

1186

بعدما تأثر الخديوي إسماعيل بما وجد عليه باريس هاوسمان "الجديدة" التى زارها سنة 1867، قرر بناء مدينة حديثة على النمط المعمارى والجمالى نفسه، وأتى بالمهندسين المعماريين الأوروبيين إلى القاهرة، ليبدأ بذلك أكثر فترات البناء ديناميكية فى مصر منذ عصر المماليك. وتبقى مبانى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين مذهلة، ولكنها مهملة ويهددها التلوث وتهدم لتقام مكانها الأبراج الخرسانية والجراجات. ويضم هذا الكتاب 170 صورة لجواهر القاهرة "الحديثة" . وهى تتراوح بين صور لشوارع وأخرى للعمارة بحيث تشكل معًا لوحة القديم والجديد. وصاحبة الكتاب سينثيا مينتي عالمة أنثروبولوجيا عاشت فى القاهرة عشر سنوات، وهى باحثة فى شئون الشرق الأوسط، أما التصوير الفوتوغرافى فهو هوايتها.

تنفيذ غلاف الطبعة العربية: حسن كامل

قاهرة إسماعيل

جاردن سيتى ، تقاطع شارعى عائشة التيمورية (الوالدة باشا سابقًا) وغاندى . بناها چورج بارك سنة ١٩١٤.

قاهرة إسـماعيل

باريس على ضفاف النيل

المركز القومى للترجمة
المشروع القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : ١١٨٦
- قاهرة إسماعيل : باريس على ضفاف النيل
- سينثيا مينتي
- أحمد محمود
- جليلة القاضى
- الطبعة الأولى ٢٠٠٨

هذه ترجمة كتاب :

Paris Along the Nile:
Architecture in Cairo from the Belle Epoque
By: Cynthia Myntti
First Published in 1999 by
The American University in Cairo Press
113 Sharia kasr El Aini, Cairo Egypt
420 Fifth Avenue, New York, NY 10018
www.aucpress.com

قاهرة إسـماعيل

باريس على ضفاف النيل

تأليف : سـينثيا مينتي

ترجمة : أحمد محمـود

مراجعة وتقديم : جـليلة القاضى

2008

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

مينتى ، سينيثا .

قاهرة إسماعيل : باريس على ضفاف النيل / تأليف سينثيا منينتى ؛ ترجمة أحمد محمود ؛ مراجعة وتقديم جليلة القاضى .. ط١ :- القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠٠٨

١٢٤ ص ؛ ٢٦ سم .- (المشروع القومى للترجمة ؛ العدد ١١٨٦)

١ - القاهرة - الشوارع

(أ) محمود ، أحمد (مترجم)

(ب) القاضى ، جليلة (مراجع ومقرر)

(جـ) العنوان ٣٥٢,٧٤

رقم الإيداع ٢٠٠٨/٩٠٧٣

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977-437-723-0

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويـــات

مقدمة المراجعة

بين العمارة والقيمة الحقيقية لشعب ما هناك علاقات حميمة، حتى إننا يمكن أن نكتب تاريخ الشعوب من خلال تتبع تطور بناياتهم .

Viollet le Duc, entretiens

عندما يتجول المرء في مدينة ما ، فإن أول ما تلتقطه العين هو السينوجرافيا العامة ، أى علاقة الفراغات المكشوفة بالأجزاء المصمتة : أحجام المبانى وارتفاعاتها ، يفط الأماكن التجارية، حركة المارة والمركبات بأنواعها . وكلها عناصر تعطى للمكان طابعه الخاص وتميزه عن الأماكن الأخرى . في مرحلة تالية من التأمل ، تصبح عين المتجول أكثر حساسية للضوء ، للألوان ، للتفاصيل؛ فتقوم بعملية تشريح للمبانى : إيقاع الواجهات ، العناصر المعمارية من نوافذ وأبواب وشرفات وأعمدة وكوابيل وتماثيل والزخارف بأنواعها، ومن ثم الإحساس بطبيعة وملمس نسيج الواجهة من حجر ، طوب ، طلاء ... كل فرد يستطيع إذن أن يستخرج أو يستعيد بعض تلك اللقطات التي تثبت فى مخيلته لكل مدينة زارها . فهي تجمع وتلخص العناصر الفراغية الحسية المتلقاة بشكل واعٍ عند التجول في المكان ، وتلعب دور أدوات بناء أو تعريف شخصيةً المدينة ككل أو موضع بعينه ، إلا أن استحضار ما أدركته الحواس في لحظة ما غالبًا ما يداهمه الزمن ويطمس معالمه في الذاكرة ، وربما يندثر أيضًا فى المخيلة أو في الفضاء المدينى أو فى كليهما ؛ لذا كان فعل التدوين والتصوير الذى يحافظ على ذاكرة المكان ويخلدها . من أجل ذلك أهدتنا سينثيا مينتي هذا الكتاب مفضلة الصورة على التدوين لمعرفتها أنها أكثر تأثيرًا من الكلمة .

وعدسة المصور لا تقل أهمية عن قلم الكاتب ، وكثيرًا تفصح أكثر مما يفصح القلم ، وخاصة إذا اختص الأمر بالفنون والعمارة؛ فهى تجسد أشياء يصعب على القلم الإفصاح عنها ، وقد نافست الصورة في زمن قصير الكلمة ، بل إنها كثيرًا ما تتفوق عليها ؛ فهى مسجل أمين للتعبير عن ما يشعر به المصور والرسالة المراد توصيلها للمتلقى . فالصورة تُحدّث المتلقي ، وتثير لديه مشاعر متعددة : شحنة من الحنين والذكريات ترتبط بالمكان والزمن ، فتعيش الذاكرة لحظة حاضرة تستند إلى ماض غائب ولكنه حاضر بشوارعه ومبانيه ؛ الدهشة إما اكتشاف أو إعادة اكتشاف مكامن الجمال وحسن البناء وروعة التشكيلات المعمارية وتناسقها وثراء الزخارف التي نشاهدها دون أن نتأملها ، شعور بالقلق من فقد هذه الأشياء التي تجسد أحداث عصر وفنونه وذوقه الراقى ، بالعجز عن فعل إيجابى فى ظل عدم وجود وعى عام بكل ما تحمله هذه الكنوز من قيم أو ميكانيزمات تسمح بالدفاع عنها أو على العكس، ثورة على العجز ورغبة في التغلب على القبح والتدهور ربما أدت إلى فعل وجهد من أجل الحفاظ عليها . إثارة كل تلك المشاعر هو هدف الصور التى يضمها هذا الكتاب، والتي تم انتقاؤها من وجهة نظر محايدة تحتفي بما هو جميل وإيجابي ، متلافية إظهار مدى التدهور والعبث و«التحلل» على حد قول سينثيا مينتي الذى تعاني منه مباني القاهرة الكلاسيكية .

إن استعمال الصورة يفسر جزءًا كبيرًا من النجاح منقطع النظير لهذا الكتاب الذي طبع لأول مرة باللغة الإنجليزية عام ١٩٩٩ ولاقى رواجًا غير مسبوق فأعيدت طباعته مرة أخرى ، إلا أن هناك عدة عناصر أخرى أسهمت في الإقبال على هذا الكتاب، كحرص سينثيا مينتي على التواصل مع القارئ المتلقي وإشراكه في جولتها بل توحدها معه ؛ فهي تنقل إليك استمتاعها الشديد خلال تجوالها ، فتقودك بهدوء فى أحياء قاهرة نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين دون أن تكشف عن مساراتها ، مثل أى سائق محنك ، ولكنها تعلن عن كل محطة قبل أن تتوقف عندها؛ فالموضوع واضح ومنظم فى ذهنها بكل تشعباته، وهي في الوقت نفسه تصبح عين أي زائر للمدينة ، فتنتقل من السينوجرافيا العامة في لقطات شاملة -شوارع وميادين مليئة بالحياة والحركة - إلى جزء من مبنى يجمع في تناسق بديع حزمة من العناصر المعمارية : أعمدة وكرانيش وزخارف بنائية وكوابيل من الحجر

وشرفات دائرية يمكن أن توجد بشكل جزئي فى مبان أخرى ، ثم تنتقل إلى القباب التى تعلو البنايات الشامخة، وتؤكد وضعيتها كعلامات مميزة لوسط البلد ، أو كبؤر بصرية مهمة في الفضاء الحضرى، وتركز بعد ذلك عدستها بتؤدة على النوافذ والأبواب من خلال كادرات مأخوذة بعناية فائقة تظهر تنوع وتعدد وثراء النماذج والأشكال والأنماط لهذا العنصر المعماري المهم لتتوقف فى النهاية عند العناصر الإنشائية والزخرفية ، من كوابيل تحمل الشرفات فى أشكالها البسيطة أو المعقدة ، والتماثيل بطابعها المحلي أو الوافد : رأس لأبي الهول هنا أو ملاك مجنح هناك . وهي في رحلتها الاستكشافية تلك التي استغرقت شهرين تثير لديك شعوراً بالبهجة والاطمئنان ، هذا الشعور الذى يغمر ساكن المدينة العتيد Home Urbanus الذي يعيش فى عالم صاخب سريع الإيقاع لا يتيح له الوقت التجول والتوقف والأمل ، في لحظة إعادة اكتشاف الموارد الثمينة التي تكتنفها مدينته . وعندما تكون إعادة الاكتشاف من فعل الآخر ومن خلال نظرته للحجارة القديمة وتقييمه لها ، من خلال إحساسه بعظمتها وهيبتها ؛ فالوعي بكل القيم التى تحملها تلك الكنوز عند المتلقي المستهدف يزداد رسوخاً ، وربما دفعه إلى العمل للحفاظ عليها وتنميتها .

هذا الوعى بالتراث الكلاسيكي للقاهرة والإسكندرية، والذي بدأ يتشكل عن النخبة المثقفة والمتخصصين فى العمارة والعمران متواكباً مع بزوغ حنين إلى « زمن جميل » ولّى واندثر وجهد أيضاً فى الحفاظ على الذاكرة – ذاكرة المدينة – يعتبر من العناصر التى أسهمت في رواج كتاب سينثيا مينتي .

ويمكننا أن نرجع جذور تشكل هذا الوعي إلى منتصف الثمانينيات من القرن الماضي وتحديداً عام ١٩٨٤ ، عندما عقدت مؤسسة الأغاخان مؤتمراً عالمياً عن القاهرة في القاهرة احتلت فيه محنة التراث العمراني مكانة مهمة ، وأثير خلاله للمرة الأولى، ما كان مسكوتاً عليه إلى الآن ؛ أي وضعية الأحياء التى أنشئت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين من منظور كونها أحياء تاريخية ومناطق تراثية . وكانت مبادرة الباحث الفرنسى روبير ألبرت Robert Albert الذي قدم بحثاً عن ضاحية هليوبوليس التى أنشئت عام ١٩٠٥ بمبادرة من البارون البلجيكي إدوارد أمبان ، أظهر فيه عملية التهجين المعمارية التي تمت على يد المهندس المعماري ألكسندر مارسيل Alexandre Marcel ونتج عنها مدينة تحترم البيئة الصحراوية التي أنشئت فيها (البواكى المظللة) ، كما استطاع تحقيق أشكال معمارية تحمل صفات العمارة المحلية والاتجاهات الوافدة ؛ أي أنه زاوج بين « الأصالة والمعاصرة» استطاع تحقيق مطلب لا يزال يلح علينا إلى الآن . وقد اتفق الجميع على اعتبار أن هليوبوليس تجربة رائدة وفريدة في مصر ، وطالبوا بتحويلها إلى محمية عمرانية ووضعها على قائمة التراث . وكان أكثر المدافعين عن تلك الفكرة المفكر الإسلامي أحمد كمال أبو المجد والمهندس حسن فتحي – رحمه الله – الذي قال : «إن هليوبوليس هي الزواج السعيد بين الشرق والغرب » .

لم تجد الدعوة التي أطلقت خلال هذا المؤتمر صدى مباشراً لا على المستوى التشريعى ولا على المستوى الإداري والمؤسسي، ثم كان أن اتخذ الدكتور أحمد قدري – رئيس هيئة الآثار آنذاك– قراراً بوضع بعض المنشآت المعمارية للحقبة التاريخية المعنية على قائمة التراث القومى ، مثل مبنى البرلمان المصري (١٩٢٣)، ومبنى مجلس الوزراء (أوائل القرن العشرين) ، وقصر الأمير عمر طوسون (١٨٨٦) ، وقصر إسماعيل المفتش (١٨٦٦) ، علماً بأن قانون الآثار الصادر عام ١٩٨٣ يضع شرط مرور مائة عام حتى يوضع المبنى الذى تم تقييمه بوصفه أثراً على قائمة التراث؛ أي أنه يتوقف عند نهاية عصر إسماعيل عام ١٨٧٩ . غير أن هذا القانون يعطي الحق لوزير الثقافة أو رئيس مجلس الوزراء بانتقاء منشآت عامة أو مبان خاصة لتسجيلها ووضعها على تلك القائمة لمنع المساس بها ، وإذ اقتصرت ردود الأفعال على مستويات متعددة على هذه المبادرة ، فإن هذا المؤتمر أطلق شرارة البدء في إلقاء الضوء على وضعية مدن ومبانى وأحياء نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين[1] فكان كمن ألقى حجرا في مياه بحرية راكدة فأحدثت دوائر متتالية مازالت آخذة في التتابع والاتساع إلى يومنا هذا .

(١) وصل عدد هذه المبانى إلى ٥٧ مبنى من أصل ٨٠ مبنى تم وضعها على قائمة التراث بين عامى ١٩٥٦ و ٢٠٠٤. وهى تشمل العديد من الأنماط : قصور وفيلات ومبان عامة وبنوك ومسارح ومتاحف وأسبلة وتماثيل وقباب وقناطر وجوامع وكنائس ومنشآت صناعية وفنادق ومبان سكنية . وتتركز معظمها في القاهرة والإسكندرية مع وجود نسبة فى مدن الأقاليم مثل المنصورة ودمنهور وأسيوط ونجع حمادى وبورسعيد والسويس ورشيد . المصدر : قائمة المجلس الأعلى للآثار .

فقد استحوذ هذا الموضوع على اهتمام الباحثين الأجانب بداية ، ثم لحق بهم باحثون مصريون، فتوالت الإصدارات الأكاديمية باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية تناولت عمران وعمارة مدينتي القاهرة والإسكندرية منذ نهاية القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين بالرصد والتوثيق والتحليل طبقًا لمناهج ومناظير وأهداف متباينة . فمنها من ركز على منطقة بعينها (وسط البلد أو القاهرة الخديوية على سبيل المثال) فأنتج عملاً موسوعيًا ضخمًا ، يضاهي في قيمته العلمية والفنية كتاب «وصف مصر للحملة الفرنسية » . ولكنه للأسف جاء باللغة الألمانية فى ٧٨٥ صفحة ، كما أنه صدر عام ١٩٨٩، ولم يجد طريقه إلى الانتشار في أوساط المتخصصين إلا في منتصف التسعينيات من القرن الماضى ، كما أنه يتوجه في المقام الأول إلى الباحث الأكاديمى المتخصص ، وحجمه وسعره لا يجعلانه في متناول الجميع . ومنها من تناول طرازًا معماريًا بعينه (كتاب طارق صقر عن العمارة ذات الطابع العربي المختلط في القاهرة، الصادر عن الجامعة الأمريكية عام ١٩٩٣) ، أو نمطًا في حد ذاته (كتاب نهال تمرز عن معمار القصور والفيلات في العباسية)، ومنها أيضًا من تناول بالتحليل فترة تاريخية محددة (كتاب جون لوك أرنو الذي تناول بدايات تشكيل مدينة القاهرة الكلاسيكية في الفترة من (١٨٦٧ - ١٩٠٧) ، أو ألقى الضوء على سيرة مهندس معماري وأعماله التى اندثر معظمها مثل أمبرواز بودرى Ambriose Baudry حتى وصل عدد الإصدارات الأكاديمية التي تناولت عمارة هذه الفترة وعمرانها إلى عشرة كتب[1] اعتمدت عليها سينثيا مينتي، ومكنتها من الإلمام بمعطيات الزمان والمكان، كما وجهت اختيارها إلى تبني أسلوب ينحى منحًى مختلفاً عن الدراسات الأكاديمية ويمثل إضافة جديدة ، وفي الوقت نفسه يسهم في إرساء وتعميق الوعى لمنتجات حقبة تاريخية من أهم الحقبات في تاريخ مصر الحديث تزواجت خلالها الثقافات التي يزخر بها حوض البحر المتوسط ، فأنتجت تكوينات عمرانية متميزة وأبنية ذات طرز معمارية غاية فى التنوع والثراء ، شهدت تجاور وتعايش أجناس متباينة المنشأ ، وشهدت أفراحًا وأتراحًا، مواكب رسمية أو مظاهرات وطنية ، لحظات انتصار ولحظات انكسار ، فأكسبتها قيمًا رمزية ، إضافة إلى القيم التاريخية والفنية والوظيفية التي تحملها ولها قيم تراثية تدفع بنا إلى الحفاظ عليها والتمسك بها واعتبارها جزءًا من تراثنا . وتلك قضية أخرى تمت إثارتها بهدوء عام ١٩٨٤، وحمى وطيسها على إثر زلزال عام ١٩٩٢، الذى مثل تهديدًا مباشرًا للعديد من القصور والفيلات التي يرجع إنشاؤها إلى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بالاندثار- فقد هبت الصفوة الثقافية للدفاع عن بصمات « العصر الليبرالي » - وكان أن أدت الحملة الواعية لعقول الأمة والتي توجت بمشاركة مكتبة مبارك والأهرام ويكلى تحت رعاية السيدة سوزان مبارك إلى إصدار ستة قرارات بين عامي ١٩٩٣ و ١٩٩٨ ، تدرجت من منع هدم القصور والفيلات إلى عدم المساس بأي مبنى ذي قيمة معمارية أو تاريخية[٢] . وفي الوقت نفسه تم تشكيل اللجان على مستوى المحافظات لحصر وتصنيف مسمى « المباني ذات القيمة » وعمل قوائم بها من أجل وضعها على قائمة التراث .

هذا السياق المضطرب والخلاق ، لم يخل أيضًا من لمسات رومانسية وفنية مشوبة بحنين جارف لزمن جميل نفتقده يغسل همومنا ويشحذ هممنا ، عبرت عنه الدراما التلفزيوينة من خلال العديد من المسلسلات التي لاقت نجاحاً جماهيرياً منقطع النظير، بدءًا من ليالي الحلمية إلى شارع عماد الدين ، مرورًا ببوابة الحلواني وهوانم جاردن سيتي وزيزينيا . كما جاء العدد الخاص الذى أصدرته أسبوعية أخبار الأدب عام ١٩٩٧ عن وسط البلد « هذا الجمال الذي لا يحتمل » على حد تعبير أديبنا نجيب محفوظ « كالكرزة التي تزين الكعكة» ؛ فقد ضم مقالات وشهادات وآراء تخطت الذاكرة الفردية لتشكل في مجموعها الذاكرة الجمعية للمدينة ، بل لنقل ذاكرة الوطن .

---

(١) انظر ببليوجرافيا الكتاب .

(٢) قرار رقم ٣٠٠ لعام ١٩٩٣ ، نص على منع هدم القصور والفيلات .

- قرار رقم ٢٤٤ لعام ١٩٩٤ ، لمنع أعمال الهدم لمدة ١٢ شهراً .
- قرار رقم ٢٣٨ لعام ١٩٩٦ ، يمنع هدم أو تغيير أى مبنى ذى طراز معمارى نادر ، ويعتبر من أهم القرارات لأنه نص على عمل حصر ، وتصنيف للمبانى ، ومعاملة المبانى ذات القيمة طبقاً لقانون حماية الآثار الصادر عام ١٩٨٣ .
- قرار رقم ١١٨ لعام ١٩٩٧ ، والذى صدر لتأكيد القرار السابق على إثر محاولة هدم مقر السفارة الهولندية بالزمالك .
- ثم قرار رقم ٤٦٣ لعام ١٩٩٨ ، الصادر من مجلس الوزراء والذي يعرف بقرار الجنزورى ، الذى نص على أنه عند هدم أى مبنى يشيد مكانه مبنى أخر بنفس المساحة ونفس عدد الأدوار ، لمنع إحلال عمائر متعددة الأدوار مكان القصور والفيلات والحد من المضاربات العقارية وعمليات التكثيف الرأسى .

لقد تفاعلت سينثيا مينتي بحساسية وشاعرية تثيران الإعجاب مع هذا السياق ، وانفعلت مع ما يدور فيه من إرهاصات مجهود جماعي تدين واقعًا انتصر فيه القبح على الجمال ، ويطمح لمستقبل أكثر إشراقًا من خلال المساهمة بحب وصدق ، والمشاركة الفعالة والمؤثرة في الصراع الدائر من أجل أن يستعيد كل ما هو جميل مكانته . فجاء كتابها المصور بإضافة جديدة لمن سبقوها في الشكل والمضمون ، لحرصها على التوجه لجمهور واسع من القراء .

وفى خاتمة الكتاب تشير سينثيا مينتي إلى بعض الجهود التي أشرنا إليها من قبل في مجال رصد المباني ذات القيمة وتوثيقها، وكذلك الحملات التي تهدف إلى إثارة الوعي الجماعي ، وقد استمرت تلك المجهودات بعد صدور كتاب مينتي[1] واستطاعت أن تؤدي إلى صدور أول قانون (رقم ١٤٤ لعام ٢٠٠٦) فى شأن تنظيم وهدم المباني والمنشآت غير الآيلة للسقوط والحفاظ على التراث العمراني .

ومما لاشك فيه ، أن عدم احترام القوانين وتنفيذها في هذا البلد ، يمنعنا من التفاؤل المفرط والاحتفاء المبالغ فيه بصدور هذا القانون ، إلا أنه في الوقت نفسه لا يمكن إنكار أن القاهرة الكلاسيكية التي كانت حتى عهد قريب على حد قول سينثيا مينتي « عناصر معمارية يتيمة » ، قد تمت إعادة استكشافها وتبلور وعي عند النخبة المثقفة بالقيم التي حملها ، وهذه خطوات مهمة على النهج الطويل والشائك للحفاظ على التراث المعماري والعمراني، والذي يتضمن عدة مراحل متدرجة يصل بعضها ببعض ، تبدأ بالوعي بالتاريخ ودراسته واستيعابه، ثم تبلور مفهوم الأثر التاريخي من خلال التأمل والتقدير ، فالتقييم فالاستحواذ الجامعي والرصد والتوثيق ، ومن ثم وضع التشريعات والأطر المؤسسية وآليات التنفيذ اللازمة للحفظ .

ونحن مازلنا في مرحلة الوعي بتاريخ حقبة معينة وتأمل شواهدها المادية ، وعلى الرغم من عدم اكتمالها ، فقد تخطيناها وحرقنا المراحل التالية لنصل إلى المراحل الأخيرة ؛ ذلك لأن التقييم والتقدير والاستحواذ على إرث نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، مازال لا يخص سوى قلة قليلة ، إلا أنه في مقدورها أن تقوم بالكثير من خلال إبداع وسائل وميكانيزمات جديدة تنمى الوعي العام بذاكرة « الزمن الجميل » وترسخه ، تحث على التمسك والدفاع عن شواهدها المادية التي أعطت لتلك الذاكرة معنى ، وتذكر الأجيال المتعاقبة بتلك الحقبة الليبرالية، وتعظم الشعور بشواهدها كإرث مشترك وكجزء من الهوية القومية يتطلب مسئولية مشتركة من أجل الحفاظ عليه وتوريثه للأجيال القادمة .

إن ترجمة كتاب سينثيا مينتي إلى العربية ، سوف تضيف إصدارًا جديدًا للأدبيات العربية التي تناولت عمارة وعمران نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، ومازالت تعد على أصابع اليد الواحدة . وربما حفزت هذه الطبعة العربية ، الدارسين والمهتمين بالتراث والحريصين على استمرارية وجود هذا الزمن الغائب في الحاضر واستعادته رونقه وتألقه ، إلى بذل الجهد لمزيد من الإصدارات تلقي الضوء على نمط معماري بعينه ، على حقبة زمنية محددة ، على حي سكني ... فنحن في أمسّ الحاجة إلى إعادة قراءة أحياء ومبان يحمل كل واحد منها في طياته وبأسلوب منفرد دروسا معمارية ملهمة ، ويجعلنا نستعيد بعض الأحداث والشخصيات المرتبطة بالمكان فيزداد ارتباطنا به .

جليلة القاضى
مديرة أبحاث بالمعهد الفرنسى للأبحاث
من أجل التنمية IRD
سبتمبر ٢٠٠٧

---

(١) فى مجال الترميم وإعادة التهيئة تم ترميم ١٧ مبنى فى وسط البلد من قبل القطاع الخاص والعام ، منها مبنى البورصة ، ونادى محمد على ، وكافيه ريش ، وعمر أفندى عبد العزيز ، وصيدناوى الخازندار ، وجروبى سليمان باشا ، وإعادة تهيئة منطقة البورصة وسراى الأزبكية من خلال تحويل بعض مسارات الحركة الميكانيكية إلى مسارات للمشاة . وعلى صعيد آخر ، أسهمت مجلة مصر المحروسة بشكل إيجابى وموسع في نشر الوعي بتراث الفترة المعنية من خلال الثلاثين عددًا التى أصدرتها وكانت تباع على الأرصفة ومنها عدد خاص عن عمارة وسط البلد (٢٠٠٢/١٧) كما تجدر الإشارة إلى ترميم القصور والفيلات القديمة من قبل وزارة الثقافة وإعادة استغلالها كمتاحف ومكتبات .

مقدمة المترجم

يبدو أن عوامل كثيرة تحالفت على حرماننا من عمارة ذلك الزمن الجميل الذي ولى وذهب معه كل إحساس بالجمال والذوق. فما نعيش فيه من تلوث بصري وعشوائية وسوء معاملة للتحف المعمارية، التي ظهرت في وقت كان الناس يقدرون فيه الجمال ويعشقون الفن، قد حال بيننا وبين تلك العلامات المضيئة التي تشهد على تألق كانت عليه القاهرة في يوم من الأيام. والكثير من تلك التحف نالت منه معاول الهدم لتظهر مكانه صناديق ضخمة من الخرسانة تخلو من أي فن أو لمسات جمال، أما ما بقي فقد عبثت به يد الإهمال وأخذ منه سوء الاستخدام وقلة الصيانة كل مأخذ، وتُرك كل إنسان يفعل ما يشاء في الجزء الذي يشغله: يطليه باللون الذي يريد، أو يسد الفتحات بالطوب ليشوه شكل المبنى الجميل، أو يضع لافتة ضخمة تخفي جزءًا كبيرًا من المبنى.

وسط هذا كله تقوم سينثيا مينتي بجهد مشكور تسجل فيه بالصور نماذج من العمارة الجميلة في أنحاء متفرقة من القاهرة، لتقول لنا إن علينا أن ننتبه قبل أن يضيع ما بقي، كما ينبغي كذلك أن نصون هذا الذي بقي ونرممه ونزيل ما علق به من ملوثات بصرية عديدة لا تخفى على أحد. وهي بهذا تلفت انتباهنا إلى مواطن الجمال في مباني القاهرة، وتأخذنا في جولة بين شوارعها، وتدور بنا على تفاصيلها وعناصرها المعمارية والجمالية، وتعرفنا على طرزها وعلى المهندسين المعماريين الذين أبدعوها في أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العشرين.

إن قاهرة إسماعيل تستحق منا أن نهتم بها وأن نسعى لإزالة الغبار عن وجهها ليشرق من جديد. لا أقول إن هذا يجب أن يتم بالقرارات الوزارية ومشروعات القوانين، فلا بد أن يدرك الناس الذين يتعاملون مع هذه المباني قيمتها، وينبغي أن يكون الوازع الذي داخلهم هو الدافع الأول لتحركهم في سبيل صون تلك الكنوز المعمارية. وما لم يتوفر ذلك، فلن يفلح أي شيء سواه. ولعل هذا الكتاب بما فيه من صور يسمح لأعيننا بأن ترى ما حال صخب الحياة في القاهرة وزحام شوارعها دون النظر إلى أعلى وتأمله.

أحمد محمود

مقدمة المؤلفة
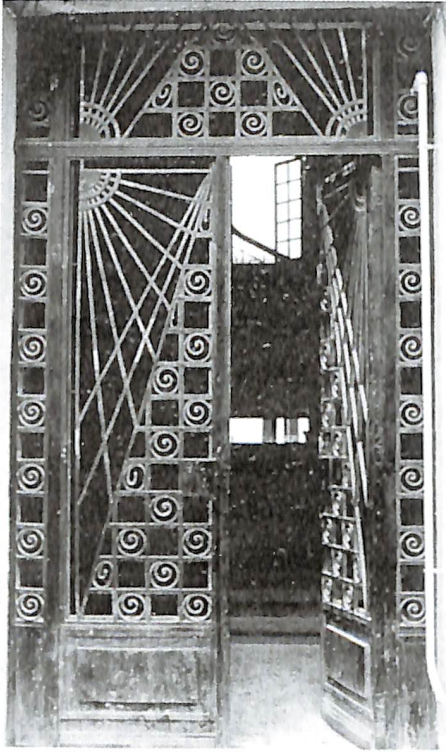
هناك زمن، ليس بالبعيد، كان يأتي فيه الأوروبيون والأمريكيون إلى القاهرة المشمسة والمتألقة هربًا من مدنهم الشمالية الموحشة. القاهرة، حيث كانت عربات الترام تجوب الشوارع التي تصطف على جانبيها الأشجار لتربط ما بين المنازل الرائعة والفنادق والبواكي والمسارح التي تشع ضوءا ومتنزهات المتعة. القاهرة، التي اجتذب قطنها الحريري واقتصادها التجار والمضاربين والصناع والمغامرين والفلاحين الإيطاليين الذين لا أرض لهم كي يبنوا مدينة جديدة. وفي ذلك الوقت كان البقال الذي على الناصية يونانيا، والميكانيكي إيطاليا، والحلواني نمساويا، والصيدلي إنجليزيا، وصاحب اللوكاندة سويسريا، وصاحب المحل متعدد الأقسام يهوديا. وفي أكثر أيام القاهرة إثارة، كان الأثرياء من بلاد كثيرة يرقصون في حفلات العشاء في الفيلات ذات الزخارف البديعة، ويراهنون على سباقات الخيل في الأندية الرياضية المقصورة على أعضائها.

لقد وقعت في غرام هذه القاهرة العالمية من أول نظرة منذ أكثر من خمس وعشرين سنة، وما زلت أعشقها، حتى بعد أن عشت فيها زهاء العشر سنوات. إنها العاصمة الأكثر غرابة: فمن الأهرام الكبرى في الجيزة غربًا إلى القلعة التي شيدها صلاح الدين شرقًا، تقع على النيل مدينة ذات تاريخ لا يصدقه عقل، تعلو طبقاتها بعضها بعضًا كالبصلة، وتكتظ بالسكان، ومع ذلك يكاد يمكنك أن تقطعها بالكامل سيرًا على قدميك. فالمرء ينتقل على التوالي من مصر القديمة القبطية، مرورًا بحارات قاهرة العصور الوسطى الإسلامية وأسواقها وقرافاتها، لتكتمل الدائرة في أحياء نهاية القرن المتناسقة التي قد تضارع باريس بكل يسر.

إلا أن مايؤسف له هو أن الزمن لم يكن رحيما بالقاهرة. ففي بداية القرن العشرين كان يسكن المدينة حوالي ٦٠٠ ألف نسمة، وهم الآن يزيدون على ١٣ مليونًا. وهناك بنية أساسية غير كافية نال منها الوهن، ومياه جوفية مالحة آخذة في التزايد، وزلازل، وشوارع تعج بالسيارات، وهواء ملوث تلوثًا خطيرًا. كل هذا أسهم في التحلل الحضري. وأدى ارتفاع أسعار الأراضي والنظام العتيق لقيود الإيجارات إلى تناقص شديد في رءوس الأموال المستثمرة في المباني القديمة، التي يبدو أن مستأجريها لا يتركونها. وهذه الأيام يرى المنطق الاقتصادي ترك المبنى القديم الساحر ينهار، ويقام مكانه مبنى إداري لا شكل له أو جراج للسيارات.

مصر الجديدة: ٧ شارع صلاح الدين (وكذلك رفيق).

وإحدى واحات القاهرة الباقية هي تلك الحديقة الواقعة خلف ذلك القصر الذي أعيد تجهيزه للإمبراطورة أوجيني عند الافتتاح الرسمي لقناة السويس سنة ١٩٦٩. وذلك المكان المريح هو الآن جزء من فندق ماريوت القاهرة. ومنذ فترة التقيت هناك بإحدى الصديقات لتناول الشاي، وأسفنا على الحالة المحزنة التي عليها الكثير من مباني الحقبة الكولونيالية بالقاهرة. ومن ذلك الحديث خرجت فكرة هذا الكتاب. فأنا عالمة أنثروبولوجيا، ولست مصورة، ولذلك فكرت في أول الأمر في كتابة مقال مصور بالتعاون مع أحد المصورين المحترفين، ولكن بينما كانت فكرة الكتاب تختمر في ذهني، بات واضحًا أنه لا بد أن تكون عيني أنا هي التي وراء الكاميرا. وهكذا درست تكنيك التصوير الفوتوغرافي وأمّنت التمويل ووصلت القاهرة في أوائل ١٩٩٧ ومعي آلتا تصوير نيكون ٣٥ مم والعديد من العدسات و١٢٠ فيلمًا خامًا.

والصور التي يتكون منها هذا الكتاب ليست وثائقية من الناحية الفنية؛ فأنا لم أغطّ نمطًا بعينه من المباني، ولا طرازا معماريا في حد ذاته، ولا عصرا قائما بنفسه، ولا منطقة على وجه الخصوص، التغطية المنهجية. وإنما كل ما فعلته هو أنني التقطت صورًا لما أعجبني، وما شدني بسبب سحره أو عظمته أو متعته: من نواصي الشوارع والمباني الكاملة إلى تفاصيلها الزخرفية. وأقدم المباني التي صورتها يعود إلى سنة ١٨٧٠، وهي بواكي شارع كلوت بك المتهالكة، بينما أحدثها مبان من فترة الثلاثينيات، وهي خليط من الباروك والآرت ديكو والتعبيرية مع قليل من تماثيل أبي الهول التي تضفي عليها نكهة محلية. وسوف يجد القارئ صورا لبعض المواقع الشهيرة والمفضلة في قلب مدينة القاهرة، وهي تلك المنطقة من محطة باب الحديد القديمة (وتسمى رمسيس حاليا) إلى العتبة وميدان عابدين، وغربًا في اتجاه النيل بميدان التحرير، وكذلك مواقع مألوفة في جاردن سيتي والزمالك، إلا أنه قد يدهش من تناسق المباني وانسجامها في شوارع أقل شهرة في مصر الجديدة والعباسية والظاهر وبولاق والمنيرة. وتبين الخريطة الموجودة في آخر الكتاب موقع هذه الأحياء بالنسبة للقاهرة القديمة والنيل لمن لا يعرف القاهرة من القراء.

أمضيت شهرين أجوب شوارع القاهرة ألتقط الصور، وأتحدث مع الناس وأنا أقوم بعملي. في البداية كان كثيرون من المارة يعتريهم الشك. هل أنا أصور ما هو قبيح كي أعرض مصر بشكل سيئ؟ وعندما أوضحت بالعربية أنني أرغب في تصوير تلك المباني القديمة الجميلة، تغير حال وجوههم. "مرحبًا في مصر" "أي خدمة ممكن أقدمها؟" وساعدني أطفال المدارس على تشكيل أفضل لقطة. وقادني كبار السن إلى مبانيهم المفضلة. وفتح لي البوابون المداخل والأبواب. ودعتني السيدات لتناول الشاي، حتى وهن صائمات في رمضان. ولذلك جاءت الصور من ناحية ما نتيجة لتلك المحادثات التي جرت في الشوارع. وكلي أمل في أن تنقل بعضًا مما شعرت به، وهو الجمال الأخاذ، والخيال المسلي، والتحلل المحزن، ودفء الناس الذين يعيشون هناك ومرحهم اللذين لا حد لهما.

ولم أراع في النص والخريطة وتعليقات الصور نظاما واحدا لنقل الكلمات بالإنجليزية، وإنما استخدمت تهجيات شائعة يسهل التعرف عليها. وعندما يكون لأحد الشوارع أكثر من اسم، كنت أستخدم عادة الاسم الأكثر شيوعًا وأضع الآخر بين قوسين عندما يظهر المبنى لأول مرة في تتابع الصور.

وأسهم أناس كثيرون في هذا المشروع، وأنا أدين لهم بالكثير. فقدم لي طارق حجي، وكان وقتها رئيس مجلس إدارة شركة شل، والسيدة هالة لطفي، حاليًا بشركة شل، الدعم المالي اللازم للقيام بالمشروع. وفي القاهرة والإسكندرية، قدم عدد من الناس نصائح سخية ومعلومات ودعما معنويا: محمد عوض، وكارلا بري، وكريستينا ديڤيز، وأنريكو ديريكو، وليلى فاضل، ووسلين دى يونج، وصول جيديه، وليثم إبراهيم، وسعد الدين إبراهيم، ودليلة

الكرداني، وأميرة خطاب، وبرنارد أوككين، ورندا شعث، وستيني الشامي، ونهال تمراز ، وليز تايلور. وشكرا خاصا لكريمة خليل وسمير رأفت وماكس رودنبك ومرسيدس فوليه، الذين أعطوني الساعات من وقتهم لتعريفي بالمباني وإعلامي بتاريخها . وكنت محظوظة لوجودي بالقاهرة في أوائل ١٩٩٧ لحضور ندوة بعنوان "قرن من العمارة في مصر (١٨٨٥-١٩٥٠)" التي نظمها الدكتور على حسن، وكان وقتها رئيس هيئة الآثار المصرية، والأستاذة كارلا بوري مديرة المركز الثقافي الإيطالي بالقاهرة، والأستاذة مرسيدس فوليه من المركز الوطني للبحث العلمي بفرنسا . وقد استعنت بالكثير من الملاحظات المفيدة التي قيلت في ذلك الاجتماع في هذا الكتاب. كما حظيت بالمساعدة من أجزاء أخرى من العالم، من رشا المير وإلين بينافيديس ونينا دودج ونوربرت هيرشهورن وبوليت ميتشل وعبد الله نعمان وكاثرين تورسان وشيلاي وير وديك ويلسون، وجميعهم لهم مني الشكر. وأود كذلك أن أشكر ستيف ريفكن وزملاءه أندي وبراد وچو ومارك الذين حولوا أفلامي إلى صور جميلة في معملهم بميناپوليس، وروچر ديڤيز على تصميمه للكتاب الذي يتميز بقدر مدهش من الإبداع. وأخيراً فأنا أدين بالشكر الجزيل لسائق تاكسي لا أعرف اسمه بالقاهرة أعاد لي في اليوم التالي شيك منحة كنت قد نسيته داخل دوسيه على المقعد الخلفي في سيارته.
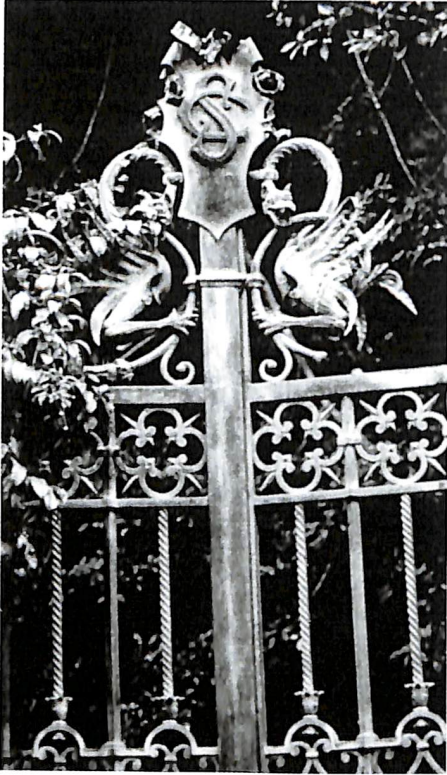
جاردن سيتي ، قصر فؤاد سراج الدين، ناصية شارعي النباتات وأحمد باشا. بناه سنة ١٩٠٨ كارلو برامبوليني. من بين من أقاموا فيه المندوبية الألمانية قبل الحرب العالمية الأولى، وشارل بييرل مدير بنك كريدي فونسييه اجيبسيان، ومدرسة بنات سويدية، وعائلة سراج الدين.

القاهرة:
سنوات كوزموبوليتانية

جاردن سيتي، كورنيش النيل عند شارع جمال الدين أبو المحاسن.

... شيد الخديوي دار أوبرا لطيفة في القاهرة، وكان قد عرض على المؤلف الموسيقي ڤيردي مبلغا سخيا من المال لقاء وضع أوبرا تمثل أمجاد مصر القديمة. وكانت نتيجة ذلك أفخم إنتاج للمدرسة الإيطالية الحديثة، وهو "عايدة" التي يعاد تقديمها هنا بقدر كبير من العظمة، مع قيام مدام باريبا روسا بالدور الرئيسي، ذكرى من أغلى ذكرياتي ذات شتاء على ضفاف النيل.

جون إل ستودارد، "**محاضرات**"، ١٨٩٧

حديقة الأزبكية. خطط تلك الحدائق الغناء ذات البوابات العديدة م. باريه كبير بستانيي مدينة باريس السابق ... وتعزف هنا فرقة مصرية تقدم عمومًا الموسيقى الغربية يوميًا من الثالثة حتى الخامسة مساءً، كما تعزف فرقة عسكرية بريطانية مساء يومين من كل أسبوع في الصيف. وتتيح لك الحدائق القيام بنزهة ممتعة في كل ساعات الليل والنهار، وهي تشكل منظرًا غاية في الجاذبية وتضاء بالغاز، ولكن ينبغي على المعتلين صحيًا أن يغادروها قبل الغروب؛ حيث يصبح الهواء هنا بعد تلك الساعة شديد الرطوبة.

وتكثر المقاهي ذات الطابع الأوروبي في الأزبكية وبالقرب منها، ويمكن الحصول على البيرة وغيرها من المشروبات من تلك المنشآت، إلا أن أيًا منها لا يصلح لارتياد السيدات.

بيديكر، "**مصر والسودان: دليل للسائحين**"، ١٩٠٨

خضع المصريون للاحتلال الأجنبي منذ ألفي سنة، وهو ما ينعكس الآن - كما انعكس من قبل - على تلك الثروة البديعة من المناظر، التي تجد فيها كل شيء في آنٍ واحد ؛ فهناك المعابد اليونانية، والحصون الرومانية، والمساجد المملوكية، وأخيرًا ذلك الخليط العالمي العظيم في القاهرة. هذا إلى جانب ذلك الأمد الذي لا يمكن لأحد تخيله من القرون الفرعونية التي تسبق ذلك كله.

لقد كنا جزءًا من نهاية ذلك الاحتلال.

بينيلوب لايفلي، **أولياندر، جاكاراندا: طفولة مدركة**، ١٩٩٤

غالبًا ما يكون تاريخ أي مكان قصة للتنافس؛ حيث تتصارع قوى كبرى وقوى صغرى من أجل المصالح على مر الزمان. وهذه هي الطريقة التي يجب أن نفهم بها تاريخ مصر الحديثة، ويشمل تاريخ مدينة القاهرة. وكانت

"خريطة" القاهرة الحديثة تضم أصحاب الأطيان، ورجال الصناعة، والتكنوقراط، والنخبة الحضرية من أبناء مصر، وكذلك الأتراك والفرنسيين والبريطانيين- بطبيعة الحال- إلى جانب البلجيكيين، والنمساويين، واليونانيين، والأمريكيين، والأرمن، والإيطاليين، واليهود من ڤيينا وليفورنو وأزمير، والعرب من منطقة الشام العثمانية.

وقد حظي موقع مصر الاستراتيجي على الساحل الجنوبي للبحر المتوسط، وعلى حافة إفريقيا الشمالية الشرقية، وعلى حدود الشرق الأوسط العربي، والممتد على طريق البحر الأحمر إلى آسيا، بالاهتمام منذ القدم. كما وهب هذا الموقع المحوري مصر هوياتها المتعددة، التي استغلها قادتها ووجهوها منذ أقدم العصور. فمصر بحق جزء من عالم البحر المتوسط الذي وصفه بروديل وصفًا مستفيضًا، والأوروبيون أقارب. غير أن هذا هو كذلك حال العرب والمسلمين والأفارقة وغيرهم من الشعوب التي كانت مستعمرة في يوم من الأيام.

ومنذ بداية القرن التاسع عشر والقوى الأوروبية لا تكف عن سعيها للحصول على الحظوة (وفي بعض الأحيان السيطرة) اللازمة لجعل مصر سوقاً مفتوحة وممراً لا يعوقه عائق إلى مستعمراتها في إفريقيا وآسيا. فقد غزا نابليون بونابرت مصر سنة ١٧٩٨ بجيوش من الجنود والعلماء، أملاً في جعلها مستعمرة فرنسية. وفقد أسطوله أمام إنجلترا، وبقي الفرنسيون في مصر ثلاث سنوات فحسب ، إلا أنها كانت كافية لإعادة اكتشاف مصر القديمة من أجل متعة الأوروبيين. وتولى محمد على الجندي المرتزق في الجيش العثماني الحكم في مصر أثناء ما أعقب ذلك من اضطراب، وسعى إلى جعل مصر دولة حديثة. وكان حريصًا على خطبه لود الأوروبيين؛ حيث أعطى الكنوز الفرعونية لباريس ولندن، وتفاوض في البداية مع إحدى القوتين ثم مع الأخرى.

ومن بين ذرية محمد على وورثته السياسيين كافة، كان حفيده إسماعيل هو من حدد شكل القاهرة في العصر الحديث. وحكم الخديوي إسماعيل مصر من ١٨٦٣ حتى ١٨٧٩، وكان من سبقوه قد رخصوا لبريطانيا أن تنشئ شبكة سكك حديدية حديثة في مصر، تربط القاهرة بميناء الإسكندرية على البحر المتوسط وبمدينة السويس على البحر الأحمر. كما حصل فرديناند ديليسبس على امتياز حفر قناة السويس بشروط، لا بد من الإشارة إلى أنها كانت مجحفة لمصر إلى حد كبير.

وأعقب ذلك مباشرة - على وجه التقريب - أن شارك إسماعيل في الأعمال الاقتصادية المثيرة الخاصة بالحصول على مادة خام يحتاجها العالم، وهي القطن؛ إذ كانت بريطانيا ترغب في الحصول على الواردات المناسبة من القطن طويل التيلة لمصانع النسيج في مانشستر وليدز. وعندما أدت الحرب الأهلية الأمريكية إلى فرض حظر على صادرات القطن من الولايات الإحدى عشرة الجنوبية التي انفصلت عن الولايات المتحدة[١] اتجهت عيون بريطانيا بقدر كبير من القلق نحو مصر للحصول على تلك المادة الخام. وازدادت عائدات مصر من القطن زيادة ضخمة[٢] حيث غذت طموحات الخديوي الخاصة بالأشغال العامة العظيمة: وهي الترع وإصلاح الأراضي والبنى الحضرية والبنية الأساسية[٣].

والحدث الذي كان له أثره العظيم في عهد إسماعيل هو زيارته لباريس سنة ١٨٧٦. وكان قد سافر إلى أوروبا قبل ذلك حيث تلقى العلم في باريس، إلا أنه نزل هذه المرة ضيفا مميزا على نابليون الثالث لحضور معرض باريس الدولي. وكانت المعارض الدولية على هذا النحو معلمًا منتظمًا في العواصم الأوروبية والمدن الأمريكية في القرن التاسع عشر. ومن أجل المشاركة في معرض باريس لسنة ١٨٦٧، قطعت مصر نفسها شوطًا كبيرًا في خلق عرض وطني جدير بالمشاهدة. وأثار الجناح المصري قدرًا كبيرًا من الاهتمام بين زوار المعرض الذين بلغ عددهم أحد عشر مليونًا؛ حيث ضم ما كان الأوروبيون يتخيلون مصر عليه، فكان هناك معبد فرعوني، وسوق شرقية، وخيمة بدوية. وواقع الأمر أن أكثر ما لفت الانتباه في المعرض هو مدينة باريس نفسها، وكانت قد خططت حديثاً بحيث تكون شوارعها واسعة، وتضم حدائق منتظمة

---

(١) كانت الولايات المتحدة تلبى حوالى ٨٠ بالمائة من احتياجات أوروبا من القطن حتى سنة ١٨٦٠ . (المترجم)

(٢) يكفي أن نعرف أن سعر الرطل ارتفع من ٧.٥ بنس سنة ١٨٦١ إلى ٢٩.٧٥ بنس سنة ١٨٦٣ . (المترجم)

(٣) بحلول ١٨٧٩ كانت مصر قد حفرت ما يزيد على ١٣ ألف كيلومتر من الترع ، وأقامت ٤٥٠ كوبريا ، ومدت حوالى ١٦٠٠ كيلو متر من السكك الحديدية . وأنشأ إسماعيل أكبر ميناء على البحر المتوسط بالإسكندرية إلى جانب سلسلة من الفنارات على الساحل ، كما مد خطوط التلغراف حتى أسوان ، وأسس شركات الشحن بالبواخر وافتتح ٦ آلاف مدرسة . (المترجم)

الأشكال، ومتاجر متعددة الأقسام، وبواكي مسقوفة للتسوق، وشبكة مجاري متكاملة. واستقبل البارون هاوسمان والي مقاطعة السين شخصيًا الخديوي وحاشيته واستضافهم؛ حيث عرض عليهم بكل فخر باريس الجديدة التي أنشأها.

وكان الخديوي إسماعيل متعطشًا للتحضر على الطريقة الأوروبية، وكان يعلم أن عليه أن يفعل مع القاهرة ما فعله هاوسمان مع باريس. ولكن بدلاً من أن يهدم إسماعيل الأحياء القديمة- كما فعل هاوسمان- كان قراره هو بناء مدينة جديدة تمامًا إلى الغرب مباشرة من المدينة القديمة، حيث أتاح استصلاح الأراضي البناء في مكان أقرب إلى النيل. واستأجر الخديوي المزيد من الفنيين الأوروبيين، وعين على مبارك الذي تلقى تعليمه في فرنسا ناظرًا للأشغال العامة كي يشرف على تشييد حي جديد أسماه الإسماعيلية، وكان عليهم كذلك إعادة تطوير الأراضي القديمة والفضاء القريبة من الأزبكية، وكذلك وضع مخطط رئيسي للمدينة بكاملها كي تنافس باريس.

وبعد ذلك قرر الخديوي إسماعيل استضافة المعرض العالمي الخاص به ليواكب افتتاح قناة السويس، وكان أمامه بالكاد عامان يتم فيهما تغيير شكل القاهرة. وقد رصفت الشوارع الرئيسية والفرعية، وقسمت الأراضي لبناء الفيلات والعمارات. ودُعي بريبه-ديشانز الذي صمم غابة بولوني وشانز دي مارس في باريس ومعه اختصاصي فلاحة البساتين ديلشيفاليري لإنشاء حديقة للنزهة فرنسية الطابع في الأزبكية. وعند اكتمال الحديقة كانت تضم مجموعة كبيرة من الأشجار والنباتات المجلوبة إلى مصر، وبحيرة صغيرة بها قوارب ببدالات، وكباري، وصالات لتقديم الشاي ومطاعم على الطرازين الشرقي والأوروبي، وستوديو للتصوير الفوتوغرافي، وكشك صيني، ومدرسة لسلاح الشيش، ومسرح، ومحال تجارية. وبالقرب منها أمر الخديوي ببناء المسرح القومي للكوميديا ودار للأوبرا على غرار أوبرا لاسكالا في ميلانو. وفي الجزيرة الواقعة في النيل الأقرب إلى القاهرة الجديدة، أمر إسماعيل بتزويد القصر الذي كان يبنيه لنفسه (وهو الآن فندق ماريوت القاهرة) بأفضل أثاث فرنسي ليصبح منزلاً للإمبراطورة أوجيني، أبرز ضيوفه في احتفالات افتتاح قناة السويس[١].

وفي أثناء "العرض" الخاص به، أمتع الخديوي ضيوفه بزيارة إلى أهرام الجيزة، وقد انتقلوا بسهولة ويسر على طريق مرتفع عن الأراضي المحيطة به ومزين بأشجار الظل[٢]. وكان قد كلف چيوسبي ڤيردي وعالم المصريات الفرنسي الشهير چان فرانسوا شامبليون بوضع أوبرا "عايدة"، التي تحتفي بمجد مصر، لتقدم في افتتاح دار الأوبرا، إلا أن الملابس وصلت متأخرة وقدِّمت بدلاً منها أوبرا "ريجوليتو" التي تدور أحداثها في مانتوا. وعلق بعض المراقبين بأن الأوروبيين المتقدمين كانوا يتوقعون رؤية بدائع ألف ليلة وليلة، إلا أنهم اقتيدوا في زياراتهم التي رسمت تفاصيلها بعناية إلى صورة مقلدة من باريس[٣].

وسرعان ما اعترف بالقاهرة كمدينة مبهجة فاقت أماكن المتعة فيها الكثير مما هو في أوروبا وأمريكا، وأنشأت خطة على مبارك الأساسية للجزء الغربي الجديد من المدينة شوارع وميادين واسعة أشبه بباريس هاوسمان. وكان شارع كلوت بك، الذي أطلق عليه اسم طبيب نابليون مؤسس أول مدرسة للطب في مصر الدكتور أنطوان كلوت، يربط محطة سكك حديد القاهرة الجديدة في باب الحديد بالحي التجاري الرئيسي في العتبة الخضراء. وفي النهاية ضمت العتبة مكتب بريد القاهرة، ومركز المطافئ، والعديد من الفنادق الأنيقة والمباني التجارية ذات البواكي، إلى جانب سوق الأغذية الرئيسية بالمدينة. وعندما أدخل الترام، صار ميدان العتبة سرة شبكة المواصلات العامة الحديثة بالقاهرة. وكانت العتبة تقع خلف حدائق الأزبكية وميدان الأوبرا، وكان يتصل بها شارع كبير يتجه جنوبًا إلى قصر الخديوي

---

(١) شيد إسماعيل مجموعة من القصور ، هى قصر الجزيرة على النيل ، وكان على غرار قصر الحمراء بالأندلس ، وقصر الجيزة ، ومكانه حديقة الحيوان الآن ، وقصر الإسماعيلية بالقرب من كوبرى قصر النيل ، بالإضافة إلى توسعته لقصر عابدين ، كما شيد قصورًا أخرى فى الجيزة لأولاده ، وسراى القبة لولي عهده ، وقصرًا بمدينة الإسماعيلية لتقام فيه احتفالات افتتاح قناة السويس . وكان يشاع أن أحد الفلكيين نصحه بمواصلة البناء مدة توليه الحكم ، حتى لا ينتزع منه العرش. (المترجم)

(٢) أنشأت هذا الطريق خلال ثلاثة أشهر قوة تضم ٣٠ ألف عامل . (المترجم)

(٣) أنفق إسماعيل مليونًا وأربعمائة ألف جنيه مصرى على احتفالات افتتاح قناة السويس التى كانت مضرب المثل فى الأبهة التى لا نظير لها . (المترجم)

الرئيسي في عابدين. وإلى الغرب والشمال شقت شوارع مستقيمة تضم المباني التجارية والسكنية الجديدة.

ولم يدم الانتعاش الذي شهده القطن في ستينيات القرن التاسع عشر طويلاً. وأصبحت مصر في عهد الخديوي إسماعيل مثقلة بديون لا أمل لها في سدادها[1]، وكانت تكلفة الحفاظ على المدينة الفخمة وتطويرها أكثر وأكثر تفوق العائدات. وكان نابليون الثالث وهاوسمان قد تسببا كذلك في دين كبير من أجل بناء باريس الحديثة، إلا أن دائنيهما الفرنسيين اعتبروا الدين استثمارًا لرأس المال في المدينة، رغم الكساد الاقتصادي. أما دائنو مصر الأوروبيون فلم يكونوا بهذا القدر من الكرم، وطالبوا برد ديونهم بالكامل وفي موعدها المحدد. ولكي تسدد مصر ما عليها، اضطرت في النهاية إلى الاقتراض بضمان أسهمها في قناة السويس. وفي حركة اتسمت بالجرأة والشجاعة، اشترى ديزرائيلي رئيس وزراء بريطانيا أسهم مصر كلها، مما ألزم بريطانيا بالتدخل زمناً طويلاً في شئون مصر المعقدة.

ولكي يحمي البريطانيون استثماراتهم احتلوا مصر سنة ١٨٨٢، وحكموا البلاد في حقيقة الأمر وكأنها إحدى المستعمرات. وكان ذلك ترتيباً غير عادي. فمصر كانت لا تزال جزءا من الدولة العثمانية، وكان لها حكامها خلفاء محمد على الذين يحكمونها بالوراثة، ومع ذلك كان الأوروبيون هم من يديرون البلاد في واقع الأمر.

وفي تلك الأثناء انتعشت أسواق القطن من جديد وازداد حجم القاهرة بالقدر الذي خططه الخديوي إسماعيل ووزيره على مبارك. ونشأت مدينة أوروبية في المقام الأول بين ميدان العتبة والنيل، وامتدت الطبقة الوسطى المصرية شمالاً إلى الفجالة والعباسية. وفي الحي الأوروبي، أدى الطلب المتزايد على المباني التجارية والمالية والقنصلية والسكنية إلى تزايد كثافة البناء، وسرعان ما حلت المباني التجارية والسكنية على الطراز الباريسي محل الفيلات والحدائق. وفيها كان أهل القاهرة وزائروها يجدون مكتبات بيع الكتب الفرنسية والإنجليزية، والمشاهي ومقاهي الشوارع الجانبية، والبوتيكات العصرية، وقاعات الفنون، والمحال التجارية متعددة الأقسام التي لا تقل في عظمتها عن "پرنتمپ" و"جاليري لافاييت" و"أو بون مارشيه" في باريس. وبنيت فنادق أسطورية: مثل "شيبرد" و"سافوي" و"سميراميس" و"إيدن پالاس". وفيما بعد أضيفت دور العرض السينمائية والباتيناج، من أجل التسلية المحلية.

ومع الميكنة الي طرأت على النقل العام، شجعت شبكة الترام الكهربائي على بناء الأحياء السكنية في الضواحي في السنوات الأولى من القرن العشرين: مثل جاردن سيتي[2] على النيل، ومصر الجديدة في الشمال من المدينة، والمعادي بالقرب من منتجع حلوان للعيون الحارة[3] في الجنوب. وجعلت الشركات العقارية كلاً من ضاحيتي جاردن سيتي والمعادي مثل نظرائهما من الأحياء العصرية في بريطانيا. وأصبحت مصر الجديدة خيال بلجيكا المغربي، وانضم الكثير من أصحاب الأطيان وبارونات القطن المصريين إلى النخبة المغتربة من الدبلوماسيين ورجال الأعمال في انتقالها إلى الضواحي الجديدة.

إلا أن استغلال مصر الاقتصادي من جانب بريطانيا أفرز في النهاية حماسًا وطنيًا أدى إلى الاستياء وإلى دورات متوقعة من القمع والثورة. ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية سخّرت مصر من جديد مواردها ومنشآتها للجيش البريطاني، وحقق المستثمرون الذين لا أخلاق لهم أرباحاً كبيرة. ولكن عندما هاجمت القوات البريطانية قسم الشرطة المصري[4] في أوائل عام ١٩٥٢ بحثًا عن المتمردين، انتهت أخيرًا العلاقة الاستعمارية بين بريطانيا ومصر. وكانت أخبار الهجوم بمثابة الشرارة التي أشعلت الاضطرابات والحرائق في كل مكان، وكانت أحياء القاهرة الحديثة الفخمة أشبه بساحة الحرب؛ حيث أتت النيران على محتويات المحال التجارية والملاهي والشركات. وبعد ستة أشهر خلع ضباط الجيش الشبان الملك فاروق، واستنكرت مصر الوضع القائم في علاقاتها مع الغرب، وولت وجهها شطر أماكن أخرى من أجل الحصول على الدعم والإلهام.

(١) صدر الأمر العالي في ٧ مايو ١٨٧٦ بتحويل الديون المتناثرة إلى دين موحد يشمل جميع الديون إلى جانب دين الحكومة ودين الدائرة السنية والديون السائرة، وقد بلغ مقدار هذا الدين المحدد ٩١ مليون جنيه إسترليني بفائدة قدرها ٧٪. (المترجم)

(٢) من غير المنطقي اعتبار جاردن سيتي من الضواحي مثلها مثل حلوان أو مصر الجديدة التي كان يفصلها عن القاهرة ١٢ كيلو متراً، كما أن الترام لم يربط جاردن سيتي بالإسماعيلية أو التوفيقية. لقد خططت جاردن سيتي غرب المنيرة والإنشا اللتين تم تخطيطهما في نهاية القرن التاسع عشر، لا يفصلها عنهما سوى شارع القصر العيني. (المراجعة)

(٣) عين حلوان الكبريتية. (المترجم)

(٤) هاجمت قوات الجيش البريطانى قسم شرطة الإسماعيلية فى ٢٥ يناير ١٩٥٢. (المترجم)

البنـاة ومبانيهم

وسط البلد، مدرسة الناصرية (كان قبل ذلك قصر الأمير سعيد حليم) شارع شامبليون. بناه سنة ١٩٠١ أنطونيو لاسياك.

يرى كثيرون من مؤرخي العمارة أن القرن التاسع عشر كان زمن النهضة المعمارية العكسية، بل إنه في الوقت الذي كانت تحدث فيه الثورة الصناعية أوروبا، كان البناة متمسكين بالأشكال المعمارية التراثية الغنية بزخارفها الكثيرة. ويرى النقاد أنها كانت "حفلة تنكرية"، أو "الطاعون الدبلي للزخرفة المعمارية"، كما أهانوها إهانة بالغة بوصفها بأنها "عمارة خراطيش"؛ ذلك لأنها متضخمة وتتسم بالبذخ والتبذير والتظاهر والبهرجة.

كان ذلك بحق عصرًا يتميز بالوفرة والإسراف؛ فقد خلقت الثورة الصناعية الحاجة إلى المصانع والمحال التجارية والمكاتب ومحطات السكك الحديدية والفنادق الكبيرة، كما أنها اخترعت مواد جديدة لإحداث ثورة في التشييد؛ فهناك الحديد والصلب والزجاج المحسن ثم الخرسانة المسلحة. وأطالت الكهرباء ساعات النهار لكل من العمل والمتعة، ومكنت الناس من تشييد المباني العالية ذات المصاعد. وفي الوقت ذاته وفرت الثورة الصناعية كذلك المال للبورجوازية الجديدة كي تنفقه على الأراضي والمنازل والزخرفة. وأخيرًا، وإن لم يكن غير ذي صلة بالموضوع، فقد شهد القرن التاسع عشر إقامة الإمبراطوريات العابرة للقارات[(١)].

وكان حكام الإمبراطوريات يرغبون في أن تتناسب عواصمهم مع نفوذهم العالمي الممتد، ولذلك جرى تغيير المدن بكاملها وليس المباني وحدها. ويتهم منتقدو نابليون الثالث والبارون هاوسمان وشارل جارنييه (المهندس المعماري الذي بنى أوبرا باريس التي افتتحت سنة ١٨٧٥) بالأبهة الإمبراطورية المتسمة بالبذخ، إلا أن مخططاتهما ومبانيهما جعلت باريس واحدة من أجمل مدن العالم حتى في وقتنا هذا، أي بعد ذلك بمائة عام. وكذلك يمكن أن يقال الشيء نفسه عن الخديوي إسماعيل وعلى مبارك.

وعلى أية حال، فإن باريس كانت المدينة التي يجري تقليدها في القرن التاسع عشر. ففي تلك الفترة على سبيل المثال، جلب الأمريكيون الكثير من الأفكار المعمارية من باريس، حتى قيل إنهم ربما "يتحدثون الفرنسية ويهزون أكتافهم" عما قريب في شوارع نيويورك. وكان ذلك نفسه هو ما أغوى حاكم مصر.

(١) كانت هناك الإمبراطورية البريطانية التي لا تغيب عنها الشمس ، إلى جانب إمبراطورية الهابسبورج والدولة العثمانية، وكان لفرنسا مستعمراتها المختلفة . (المترجم)

وعندما وضع الخديوي إسماعيل وهاوسمان الخاص به - أي على مبارك- مخططات القاهرة الجديدة، كانا يعرفان أنهما سيضطران للاعتماد على الأجانب في تنفيذ أفكارهما، ولو في البداية. وأنشأ إسماعيل مدرسة الري والعمارة في العباسية؛ وهي التي أصبحت فيما بعد كلية الهندسة بجامعة القاهرة(١). كما أنه أعاد إنشاء مدرسة الفنون والصنائع في بولاق لتدريب الفنيين، لتصبح فيما بعد كلية الهندسة بجامعة عين شمس، إلا أن الأمر كان سيحتاج إلى وقت طويل لإيجاد جيل جديد من المعماريين المصريين. والواقع أنه حتى الثلاثينيات من القرن العشرين، كان كثيرون من المعماريين العاملين في مصر من غير المصريين. وكان بعضهم ممن لم يتلقوا تدريبا رسميا في العمارة؛ إذ لم يكونوا سوى مقاولين أو أسطوات في إحدى مهن البناء؛ وبعد الحرب العالمية الثانية وإنشاء نقابة المعماريين، كان لا بد من الحصول على مؤهل لممارسة أي مهندس معماري العمل في مصر.

وقام الإيطاليون بالدور الأكبر في بناء القاهرة الحديثة؛ فقد اجتذب انتعاش المدينة كلاً من المحترفين والعمال الذين لا أرض لهم عبر البحر المتوسط(٢). وكان المهندسون المعماريون والفنيون الإيطاليون يوظفون في نظارة الأشغال العامة المصرية في الأعمال الخاصة، حيث أسهموا في تصميم وبناء قصور الخديوي والمباني العامة والمساكن الخاصة بجالية المغتربين المتنامية وأصحاب الأطيان المصريين الذين أثروا حديثًا. وقد نقش كل من فرانشيسكو باتيچيلى ولويچى جافاسي وأجوستو سيزاري وچيوسپى جاروتسو أسماءهم على مباني القاهرة. وعلى سبيل المثال، بنى أڤوسكاني دار أوبرا القاهرة على غرار أوبرا لاسكالا. ولكي ينتهي منها في الموعد المحدد لافتتاح قناة السويس، أنجز عمله في ستة أشهر، وكان ذلك حسبما ذكرته التقارير "معجزة من النشاط والجرأة". وشارك الصقلي چيوسپى جاروتسو ومن بعده أبناؤه في تشييد الكثير من مباني القاهرة الكبرى، ومنها متحف الآثار المصرية وقصر عابدين وفندق شيپرد ومركز مطافئ القاهرة في ميدان العتبة.

واستفاد الكثير من المباني التي صممها وشيدها الإيطاليون في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين من جمال مباني عصر النهضة الإيطالي وتماسكها؛ فقد كانت الطوابق الأرضية مكسوة بالأحجار الثقيلة أو ما يماثلها من الجبس، وكانت الطوابق العلوية ذات أعمدة توسكانية أو أعمدة أيونية مربعة ونوافذ يعلوها فرنتون مثلث. واستخدم معماريون آخرون، مثل أرنستو فيروتشي بك وماريو روسي، الطراز القوطي الإيطالي الذي يذكرنا بالاتسو دوكالي في ڤينسيا، في مبانٍ مثل فيلا توفيق في الزمالك، وهي الآن إحدى مباني جامعة حلوان(٣).

ومن الجدير بالملاحظة كذلك أن الإيطاليين عملوا في الوقت نفسه في تجديد الكثير من الآثار الإسلامية العظيمة بالقاهرة، واستخدم عدد منهم الموتيفات الإسلامية في أعمالهم اللاحقة، وفي هذا كانت الاستعارة الأسلوبية متبادلة. وأشهر هذه المجموعة هو أنطونيو لاسياك، وهو في الواقع من تريسته، وقد شيد الكثير من أجمل مباني وسط البلد وأكثرها انتقائية. وكانت مبانيه المبكرة، مثل عمارات سوارس وعمارات الخديوي بوسط البلد، تتبع الطرازين الكلاسيكي والباروك(٤)، إلا أن أعماله المتأخرة، مثل عمارة شركة تأمين تريسته وبنك مصر، فتنم عن تأثيرات إسلامية أو مغربية واضحة. وحذا إيطاليون آخرون، مثل بانتانيلي وألفونسو مانيسكولو بك حذوه، إلا أن آخرين استخدموا موتيفات الأرابيسك في صنع الأثاث. فقد أوجد چيوسپى بارڤيس، الذي ساعد في إنشاء الجناح المصري في معرض باريس لسنة ١٨٦٧، والأخوان فورينو، اللذان كانا يعملان في مصنع ببولاق، صناعة منتعشة للأثاث الأرابيسك الخشبي، وكانوا يوردونه للنخبة المحلية والأجنبية. وتسيطر الأفكار الإسلامية الجديدة على عمارة مصر الجديدة، وهي الضاحية الشمالية الأولى التي خططها البارون إمبان وصممها إرنست جاسبار، وكلاهما من بلجيكا.

(١) كانت المدرسة قد نقلت بعد ذلك من العباسية إلى الجيزة. (المترجم)

(٢) أخذت أعداد الأجانب الوافدين على مصر تتزايد بصورة كبيرة من عهد سلفه سعيد. وجاء في تقرير لقنصل فرنسا بالإسكندرية: «جاء من كل ركن من أركان أوروبا الأفاقون والباحثون عن الذهب على هيئة جماعات تتساقط على مصر وكأنها كاليفورنيا». ويقول ريمون فلاور فى كتابه « مصر من قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر» ترجمة سيد أحمد على الناصري (المشروع القومي للترجمة): «وفجأة بدت مصر كما لو كانت أرض الميعاد، وتحول عدد الزوار الهزيل إلى طوفان جارف.. كان متوسط الذين وصلوا إلى الإسكندرية مابين عامي ١٨٥٧ و ١٨٦١ حوالي ٣٠٠٠٠ سنوياً وكانوا جميعهم من الناحية الفعلية حثالة البحر المتوسط، جمهور أشبه بالمافيا لا يهمه سوى شيء واحد، وهو أسرع وأقصر الطرق لجمع المال». (المترجم)

(٣) كلية التربية الموسيقية بشارع شجرة الدر بالزمالك. (المترجم)

(٤) أسلوب فى الفنون والعمارة ظهر فى أوروبا فى الفترة من ١٥٠٠ إلى ١٧٠٠، وهو يبرز الأثر القوى والمبالغ فيه في كثير من الأحيان، كما يتميز بأشكال الحفر الواضحة والزخارف الدقيقة والتوازن بين الأجزاء المتنافرة. (المترجم)

واستخدم طراز الباروك الفرنسي، الذي روجت له مدرسة الفنون الجملية المؤثرة في باريس، وطبق على العديد من مباني باريس في القرن التاسع عشر، بنفس الحماس في عمارات القاهرة، وخاصة في وسط البلد وجاردن سيتي والظاهر. فالبلكونات صغيرة الحجم التي تكثر فيها أشغال الحديد المطروق والكابولي المزخرف، والدرج والمداخل الرخامية، والحليات المحيطة بالنوافذ والأبواب، تضيف جميعها لمسات فرنسية مميزة. وعمل في القاهرة أمبرواز بودري، وهو تلميذ شارل جارنييه ، اعتباراً من ١٨٧٠. وبنى المهندس المعماري الفرنسي چورچ بارك الكثير من المباني الرائعة في القاهرة على مدى ما يزيد على العشرين سنة، اعتبارًا من قبيل الحرب العالمية الأولى. واثنان من مشروعاته الأخيرة في الجيزة هما الآن مكتبة مبارك العامة(١) والسفارة الفرنسية(٢). واستخدم معماريون آخرون من فرنسا وأماكن أخرى مفردات الباروك الفرنسي في مبانيهم، ومن هؤلاء: أليكسان مارسيل، وليو نافيليان ، وراؤول براندون ، وأنطوان باخ والنمساوي إدوارد ماتاسيك، والأرمني العثماني جارو باليان.

وما إن حلت العشرينيات حتى ظهر الآرت ديكو(٣) والمباني التعبيرية في الشوارع، وكانت من تصميم معماريين مصريين ومغتربين. ومن هؤلاء : فهمي رياض، وإدوار لوليدچيان، ونوبار كيفوركيان، وچيوسيبي ماتسا ، وجاليوجوبولو. وأسهم كذلك ثلاثة فرنسيين، كانوا زملاء في مدرسة الفنون الجميلة بباريس، وهم ليون أزيما، وماكس إدري، وچاك هاردي، في مفردات البناء الحديثة تلك في مصر. وهناك نماذج رائعة لطراز الآرت ديكو في القاهرة، حيث تحيط بالنوافذ عقود مثيرة من أنصاف الكرات، وتحدد الأشكال المثلثة الكرانيش والبلكونات. وبحلول الثلاثينيات أدخل الأسلوب الأنتقائي تماثيل أبو الهول والجعران والكوبرا وغيرها من الموتيفات الفرعونية.

وإذا ما انتقلنا من العمارات الكبيرة في وسط البلد إلى القصور والفيلات في الأحياء البعيدة نسبيا، تصبح الزخرفة أكثر انتقائية. وكانت تلك منازل "النوفو ريش"[محدثى الثراء] في أوائل القرن العشرين الذين كانوا يستعملون مساكنهم إعلانا لثروتهم. ويعد قصر السكاكيني في الظاهر النموذج الصحيح لهذه الثروة الضخمة. ويتخيل المرء أنهم كانوا يقلبون كتالوجات الزخارف المعمارية ، وكأنها عينات موكيت ليقرروا ما يختارونه من زخارف ؛ حلية مستديرة هنا، وإكليل غار هناك، وقرن الوفرة، وتمثال، وعمود، وصف برامق، وأحيانًا يكون ذلك عبارة عن فوضى من التكوينات. فلم يكن هناك انشغال بالتفاصيل الدقيقة الخاصة بالتناسب والذوق. وربما كان المقابل الأوروبي لهذه الإبداعات الفريدة هي تلك التي أثارت حفيظة المؤرخين المعماريين والمحافظين على صفاء الجمال.

وكان من السهل إضافة الزخارف في القاهرة؛ حيث كانت تصنع في حالات كثيرة من المصيص المفرغ، وهو ابتكار أتى به الإيطاليون إلى القاهرة. وفي الظروف المناخية الأقل ترحيبًا في شمال أوروبا، عادة ما تكون الزخرفة المعمارية جزءًا متداخلاً في المبنى أي أنها تكون جزءًا من البنية الحجرية أو الطوبية. وسمحت القوالب الجصية المفرغة للمعماريين وعملائهم في القاهرة أن يستنسخوا الزخارف بأسعار رخيصة وبوفرة، وكانوا يلصقونها بالمعنى الحرفي للكلمة على واجهة المبنى. وكانت تلك تبدو فكرة جيدة في ذلك الوقت؛ فالمناخ الجاف الدافئ في مصر يبقي على الزخارف الجصية عشرات السنين، إلا أن تدهورها الآن واضح بصورة محزنة، حيث تقدم الصور التي في الجزء الأخير من هذا الكتاب بعض الأمثلة.

وأتمنى أن تثير الصور التالية اهتمامًا بالحفاظ على هذه الطبقة المثيرة من ماضي القاهرة. ولينظر القارئ وحسب إلى أعلى، فوق زحام القاهرة، كي يرى المباني المذهلة والزخارف الرائعة التي هي كذلك القاهرة.

---

(١) ٧٠ شارع النيل بالجيزة ، وكانت قبل ذلك مسكن المشير عبد الحكيم عامر . (المترجم)

(٢) شارع شارل ديجول (الجيزة سابقا) أمام الباب الرئيسي لحديقة الحيوان بالجيزة . (المترجم)

(٣) الآرت ديكو : أسلوب زخرفي ومعماري ظهر وساد في الفترة من ١٩٤٥ - ١٩٢٠ ، يتميز بالأشكال الهندسية وتخلصها من الانحناءات لصالح الزوايا القائمة والخطوط المستقيمة. (المراجعة)

وسط البلد ، ميدان الفلكى ، أمام سوق باب اللوق .

licid
يقضي على
حشرات الشعر
جمال مصطفى
مركز
البصريات الفوري
CENTA MISR TOURS

وسط البلد ميدان العتبة. لوكاندة البرلمان والبواكي. أنشئت سنة ١٨٩٥

وسط البلد ، شارع عماد الدين عند سليمان الحلبي.

وسط البلد، شارع عماد الدين من ميدان مصطفى كامل (دوران سوارس سابقًا).

وسط البلد، تقاطع شارع طلعت حرب (سليمان باشا سابقاً) مع شارع ٢٦ يوليو (شارع فؤاد وشارع بولاق سابقًا). المهندس المعماري ف. ايرلانجيه.

وسط البلد ، ميدان التحرير ، متحف الآثار المصرية . صممه مارسيل دورنيون وبناه جيوسبى جاروزو ، وافتتح سنة ١٩٠٢.

وسط البلد، العمارات الخديوية من شارع عماد الدين.
هذا المجمع السكني والتجاري الرائع هو الأول مما
هو عليه من حجم وفخامة في القاهرة الحديثة، وقد
صمم وبني بالتعاون بين جوستاف بروشيه وأنطوان
لاسياك وچورچ بارك. ١٩١١
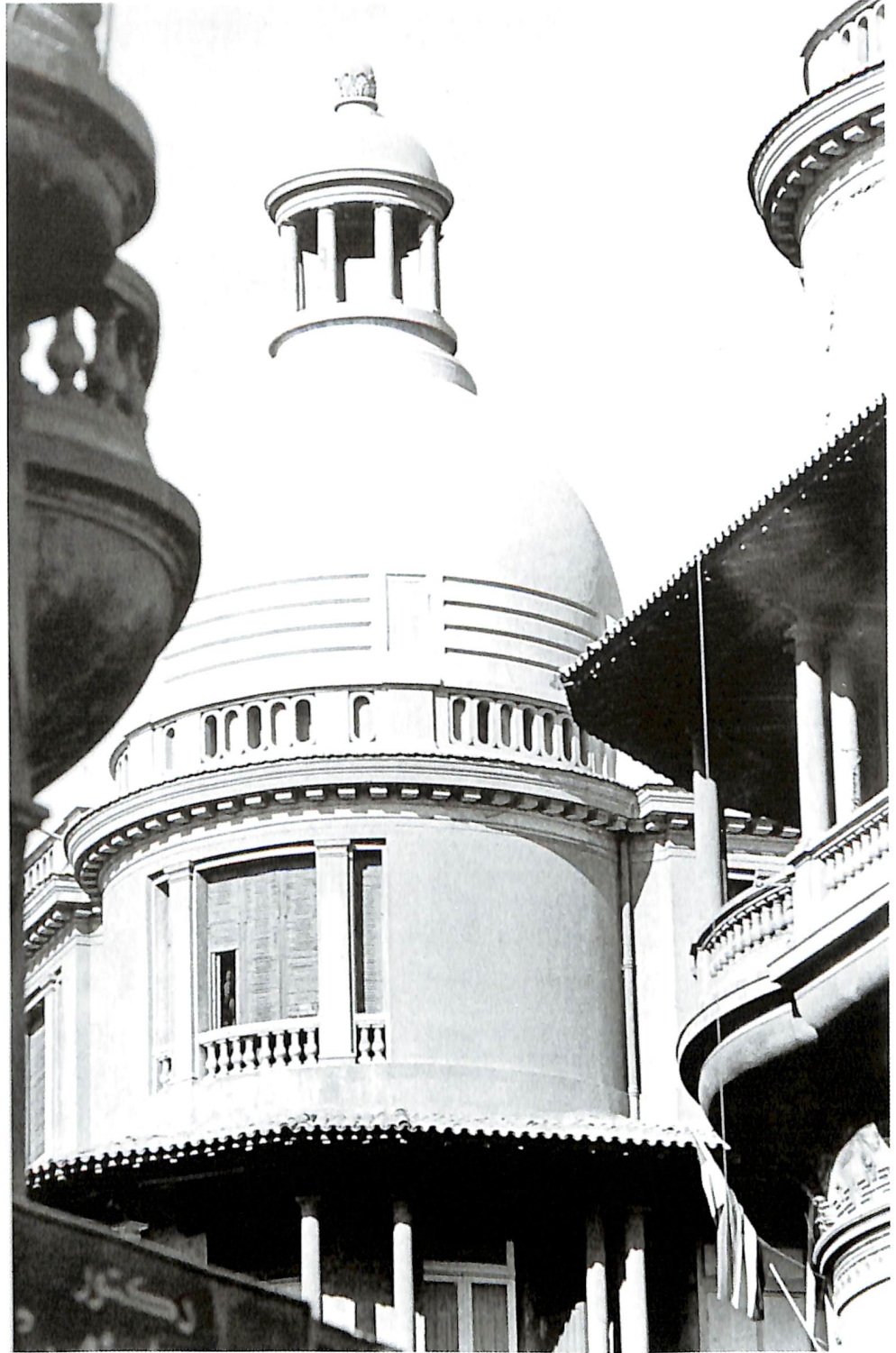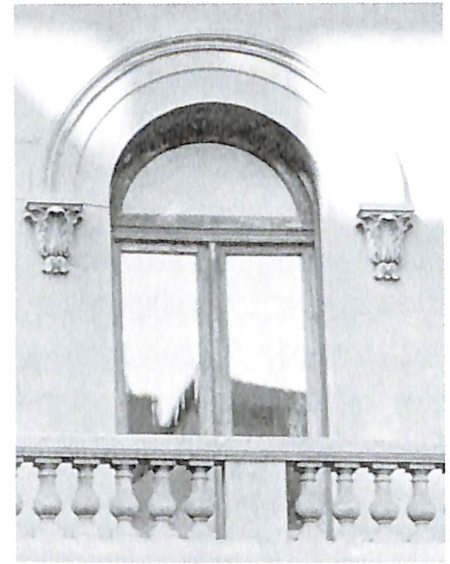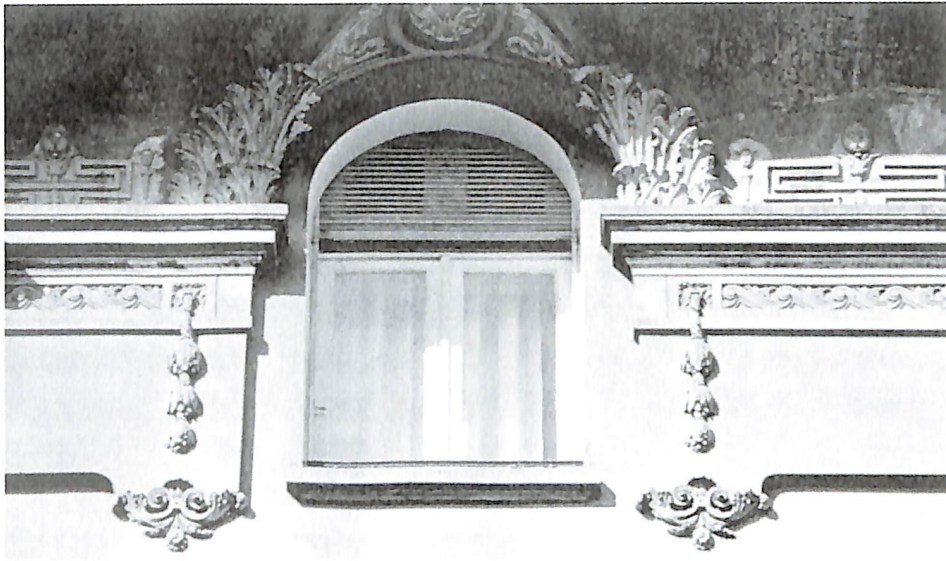
وسط البلد ، العمارات الخديوية .

وسط البلد، ميدان مصطفى كامل (دوران سوارس سابقاً) في اتجاه محمد فريد/عماد الدين. في مؤخرة الصورة على اليمين عمارة ديڤيز-بريان (ويلش ستورز وكذلك عمارة الشوربجي سابقاً)، بناها سنة ١٩١١ روبرت ويليامز. في منتصف الجانب الأيمن: البنك الدولي المصري (كريدي فونسييه إچيبسيان سابقاً)، بني حوالي سنة ١٨٨٠. في مقدمة يمين الصورة: عمارة سوارس (وتسمى كذلك نادي ريسوتو)، بناها سنة ١٨٩٧ أنطونيو لاسياك.

وسط البلد، عمارة ديڤيز-بريان، شارعي عماد الدين وعدلي.

وسط البلد، عمارة ديڤيز-بريان.
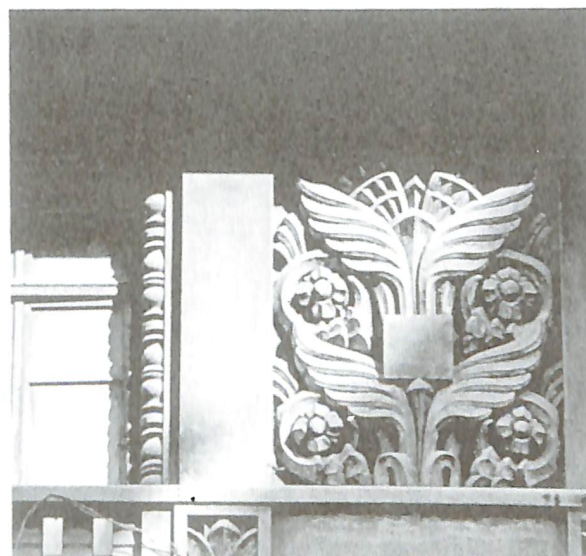
وسط البلد، عمارة رباط، ٤١ شارع شريف.

وسط البلد، عمارة محمد الشواربي باشا في
شارع رمسيس عند شارع ٢٦ يوليو. بنيت سنة ١٩٢٥،
وتنسب إلى المهندس المعماري حبيب عيروط.

وسط البلد ، ميدان العتبة ، مركز مطافئ القاهرة . بناه چيوسپى جاروزو وأبناؤه حوالى سنة ١٩٠٦.

وسط البلد ، ميدان الخازندار ، لوكاندة إيدن بالاس ، بنيت سنة ١٨٧٠ على وجه التقريب .

وسط البلد ، عمارة عدس، تقاطع شارع
عماد الدين مع شارع الألفى .

مصر الجديدة ، ٢٦ شارع كليوباترا .

الظاهر، ميدان سكاكيني، قصر السكاكيني. بني سنة ١٨٩٧ لرجل الأعمال اللبناني الثري حبيب سكاكيني. ويقول المؤرخ ألبير حوراني إن هذا البيت صار نواة حي جديد في الامتداد الشمالي للمدينة، وسرعان ما أقامت هناك عائلات تجار بيروت الكبار الآخرين، مثل سرسق وطراد وبطرس، بالقرب منه.
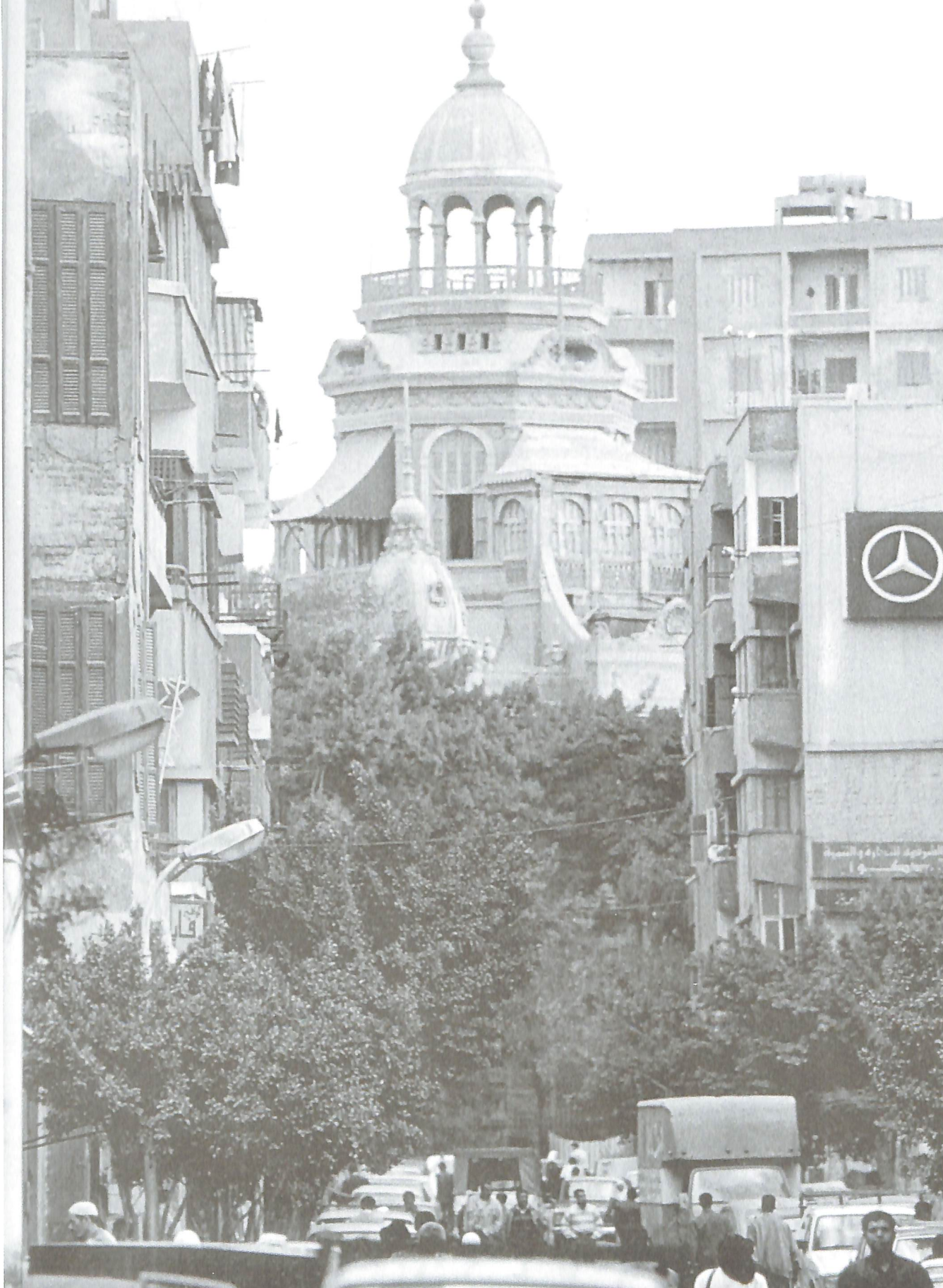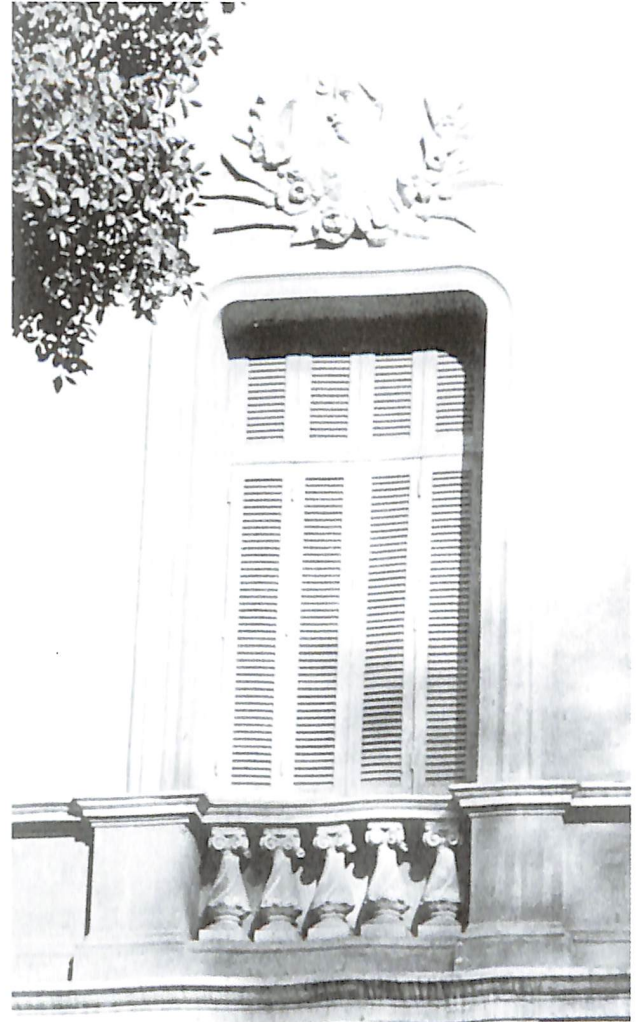
الظاهر، قصر السكاكيني.

جاردن سيتي، ٩ شارع الطلمبات

(ويسمى كذلك اتحاد المحامين العرب).

بنيت الفيلا لأبيقارون ألكسان باشا.
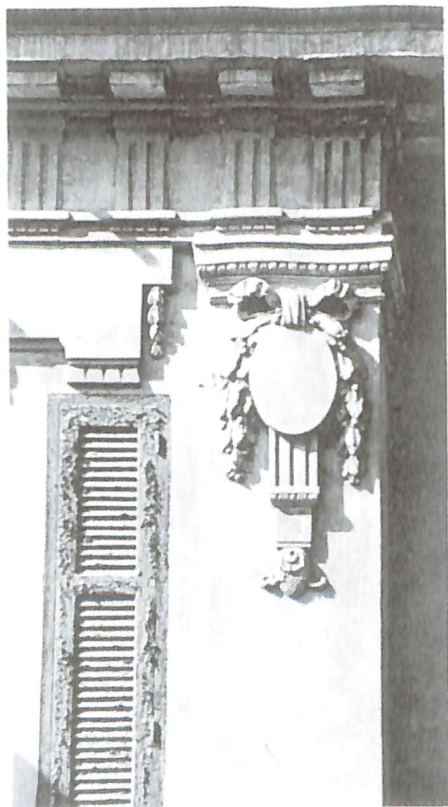
الزمالك، ٥ شارع الكامل محمد . بيت السفير
الكندي (كان بيت الملكة فريدة من ١٩٤٧ إلى ١٩٤٩
بعد طلاقها من الملك فاروق).

الزمالك، ١٦ شارع حسن صبري. المهندس المعماري والمالك الأصلي جاستون زنانيري.

وسط البلد : ١١ شارع شامبليون. مدرسة الناصرية.

جاردن سيتي، ميدان قصر الدوبارة (الآن ميدان سيمون بوليفار). فيلا قصدجلي، بناها في أوائل العقد الأول من القرن العشرين إدوارد ماتاسيك لرجل أعمال شرقي اسمه عمانويل قصدجلي. وكانت لقصدجلي علاقات تجارية بصناعة النسيج في مانشستر، وكانت السفارة الأمريكية تشغل الفيلا قبل الحرب العالمية الثانية. وهي الآن مدرسة.
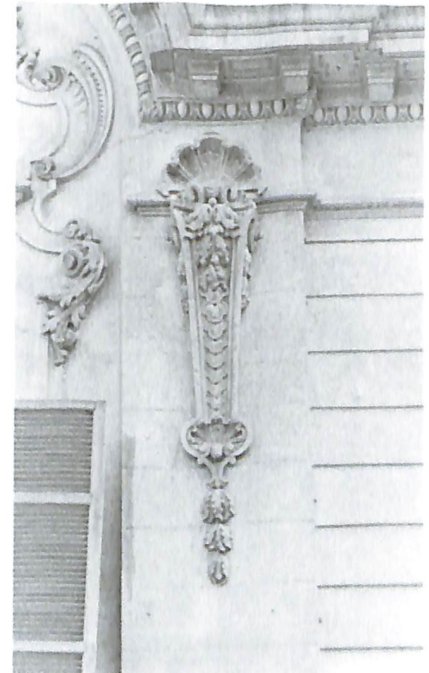
جاردن سيتي، تقاطع شارع جمال الدين
أبو المحاسن مع شارع أحمد باشا.

جاردن سيتي، تقاطع شارع جمال الدين
أبو المحاسن مع شارع السراى الكبرى.
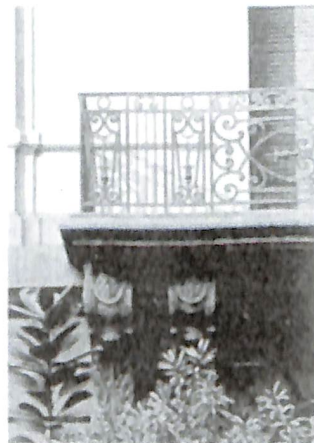
جاردن سيتى، تقاطع شارع جمال الدين
أبو المحاسن مع شارع أحمد باشا.

الزمالك، شارع شجرة الدر . فيلا توفيق (وهى الآن كلية التربية الموسيقية التابعة لجامعة حلوان) . صممها ماريو روسى وإرنستو فيروتشي بك .
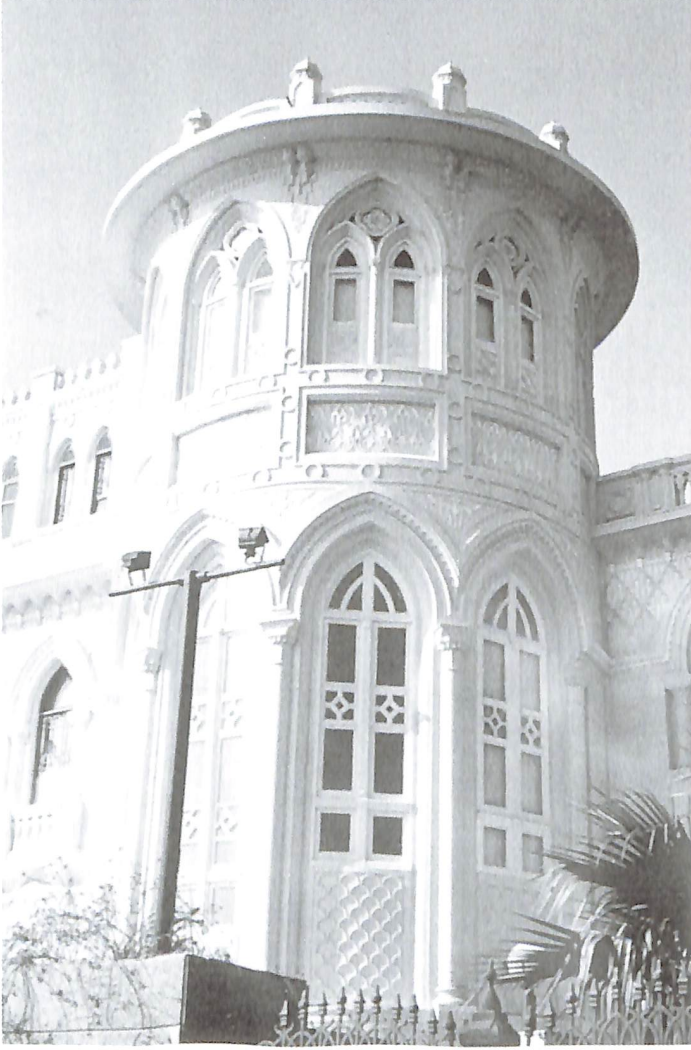
الزمالك، شارع محمد مظهر ، مكتبة القاهرة الكبري. بنيت من أجل زوجة وأبناء موسى يعقوب قطاعوى ، عميد إحدى العائلات اليهودية المصرية ذات النفوذ . وتزوج الكاتب الفرنسى إدمون جاب حفيدة موسى آرلت فى هذا المنزل .

العباسية ، سبيل الخازندار بالقرب من ميدان الجيش.

مصر الجديدة، ٣١ شارع بيروت . المهندس المعمارى أنطوان باخ.

جارن سيتى ، ٨ شارع الطلمبات.
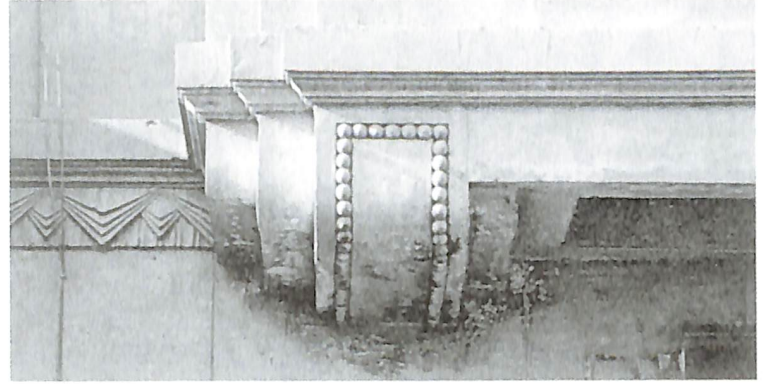
جاردن سيتى ، ١٠ شارع البرجاس.
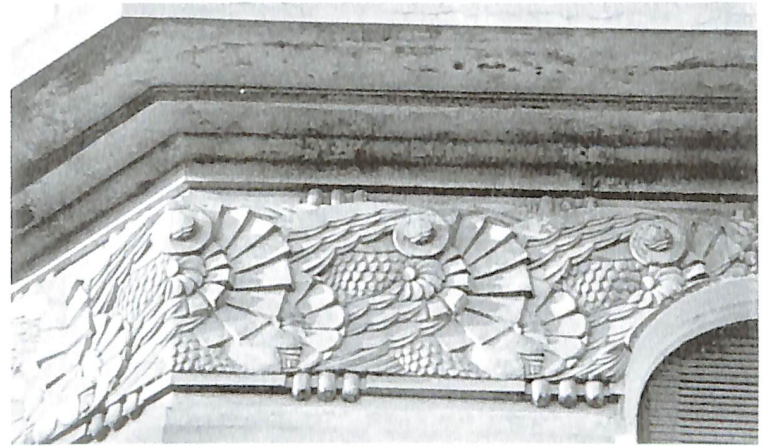
الزمالك ، ٥ شارع محمد ثاقب.
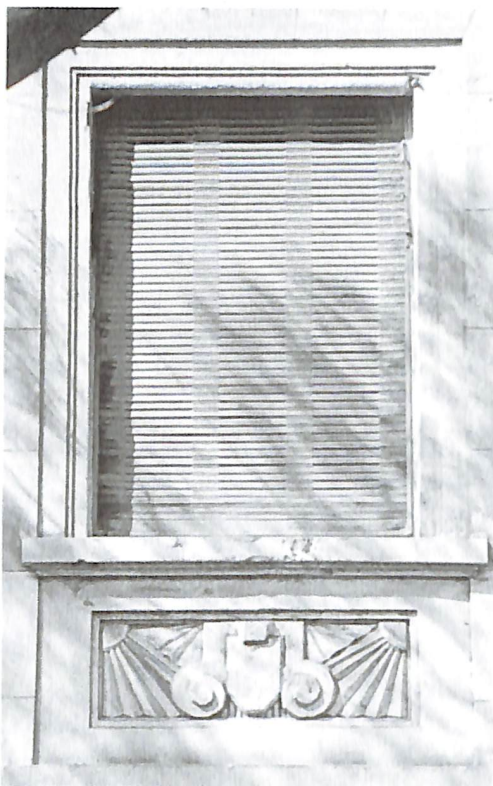
الزمالك، ٥ شارع محمد ثاقب.

مصر الجديدة ، ١٩ شارع الشيخ الدسوقى.
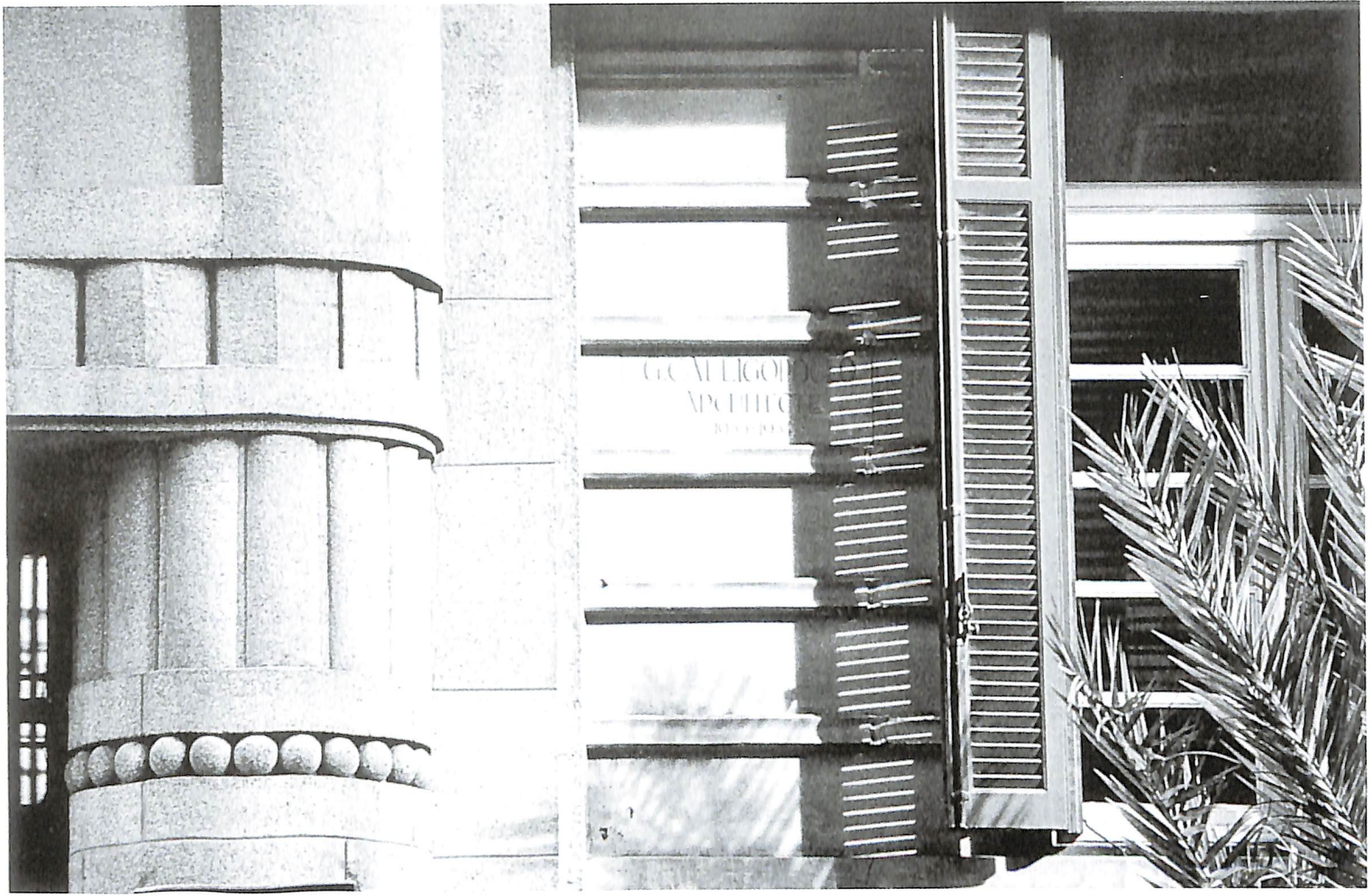
الزمالك ، شارع الكامل محمد . بناه المهندس المعمارى ج . جاليوبولو فى ١٩٣٣ - ١٩٣٤ لعائلة أفارموزيس المالطية.

وسط البلد، تقاطع شارع محمد فريد مع شارع بنك مصر.

جاردن سيتى ، ٨ شارع الطلمبات .

جاردن سيتى، تقاطع شارع النباتات مع شارع أحمد باشا . حالياً المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . كان يشغله أثناء الحرب العالمية الأولى قائد الجيش البريطانى . أستأجره مصطفى النحاس زعيم حزب الوفد بعد الحرب العالمية الثانية .
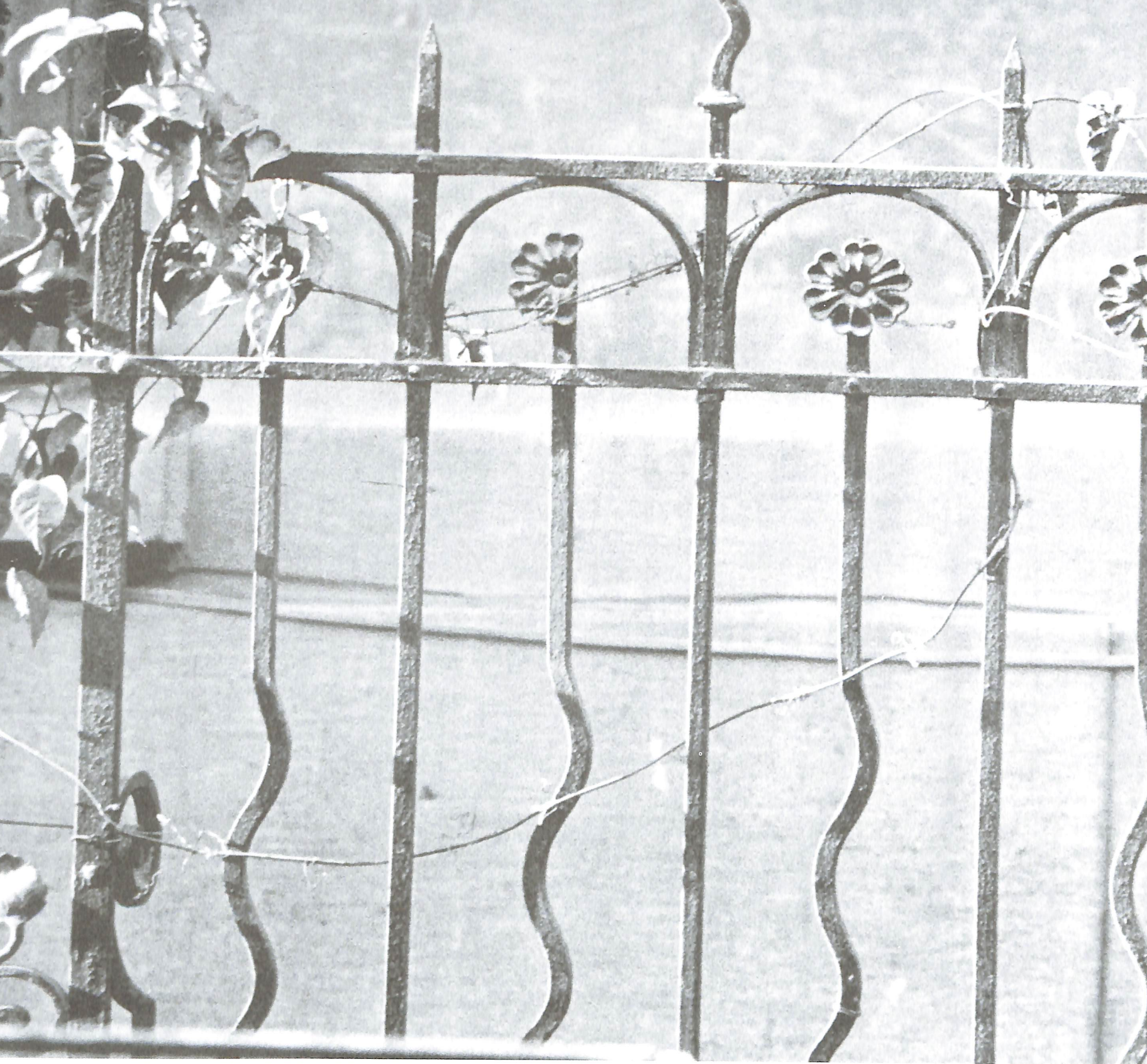
المنيرة، ١٨ شارع إسماعيل باشا سرى.

الظاهر، قصر السكاكينى.

جاردن سيتى، شارع النباتات.

جاردن سيتى ، شارع كمال الدين حسين ،من ميدان قصر الدوبارة .
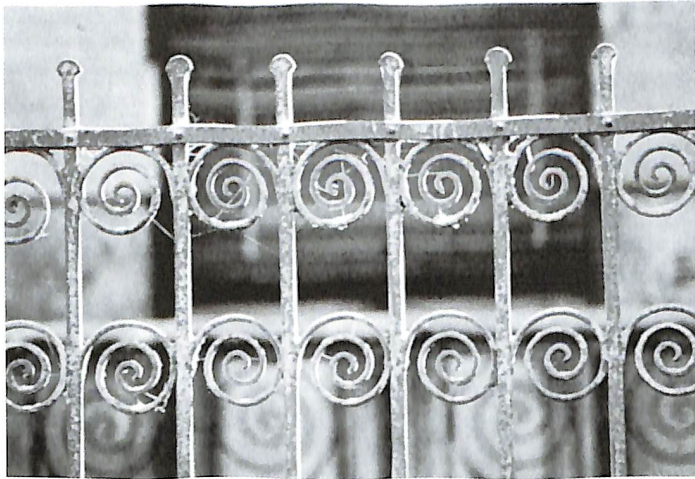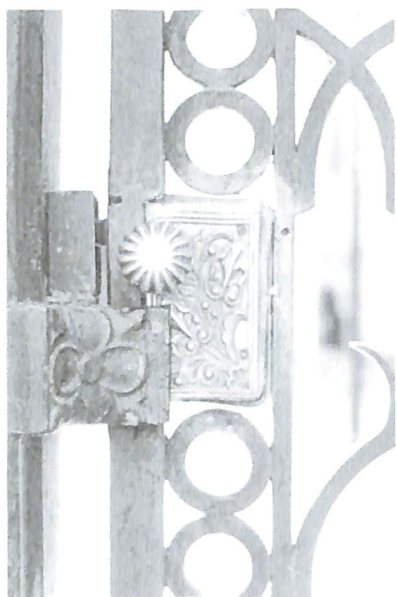
الزمالك، شارع محمد مظهر .
مكتبة القاهرة الكبرى.
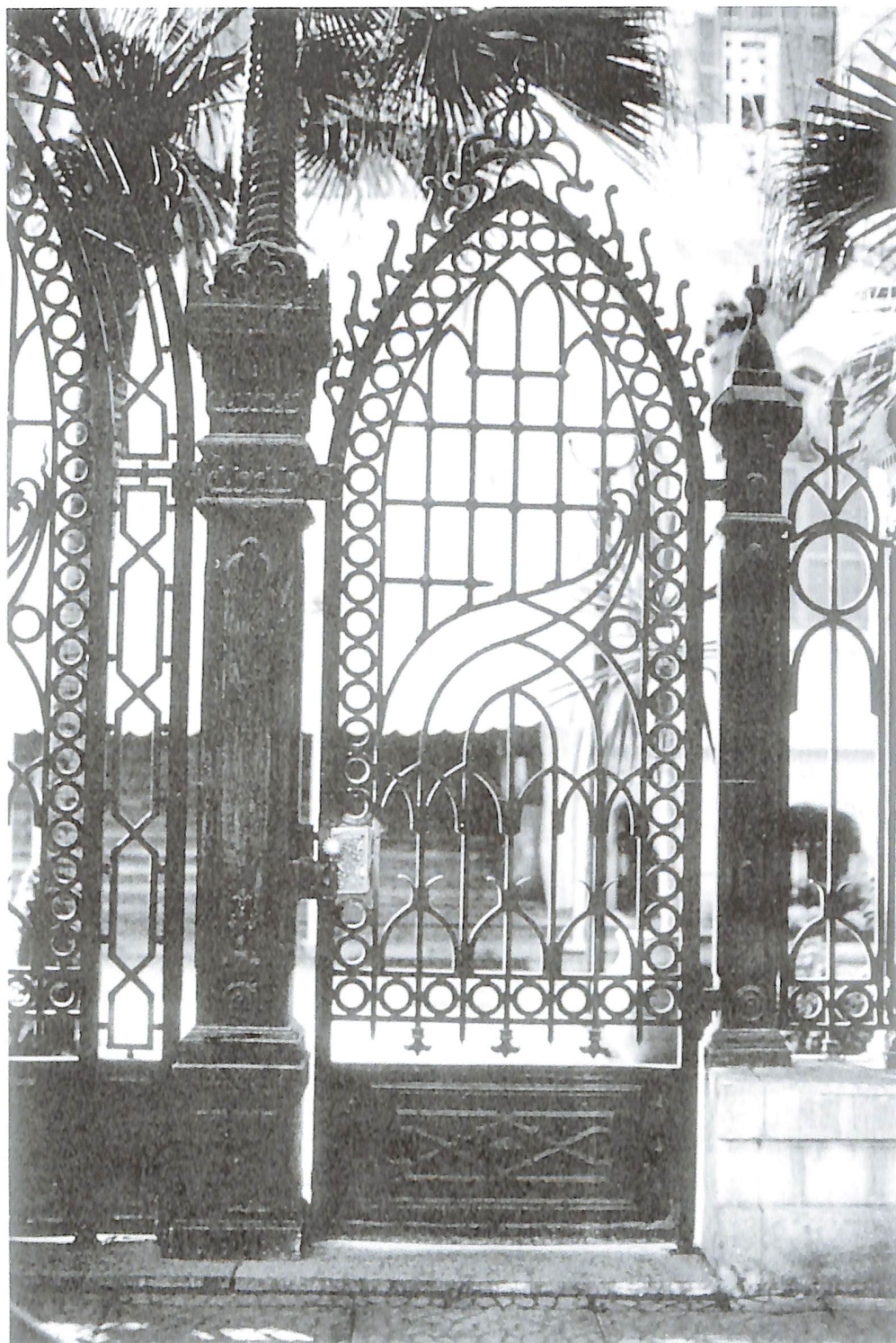
المنيرة، المعهد الفرنسى للآثار الشرقية ، من شارع المنيرة (ويسمى كذلك شارع يوسف).

الزمالك ، ٢٤ شارع سراى الجزيرة .
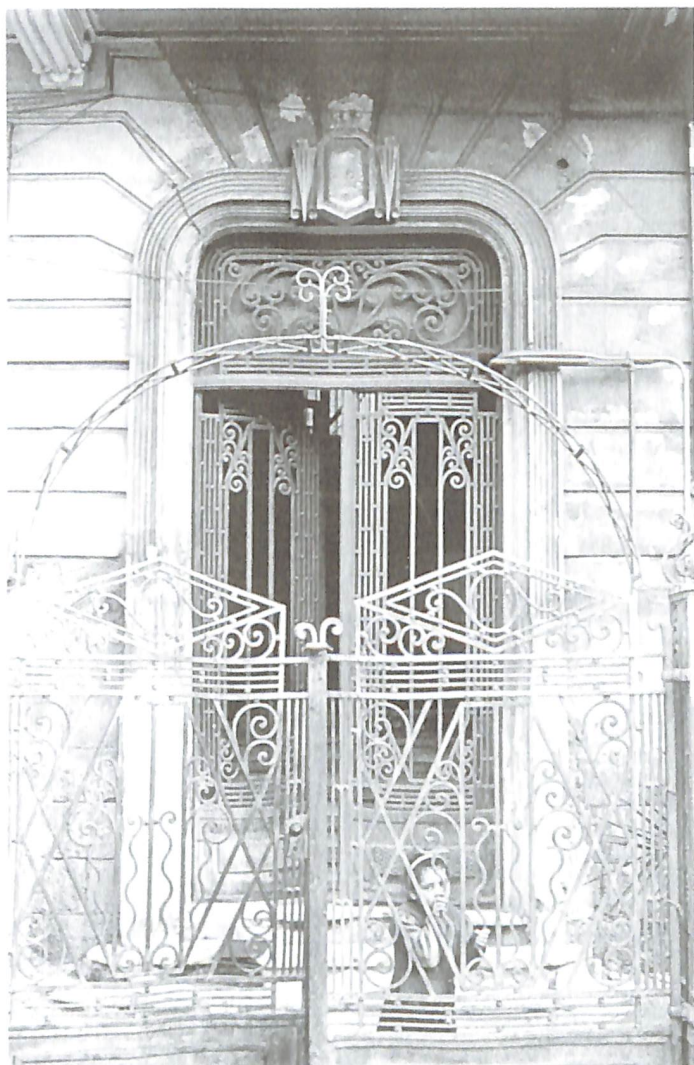
العباسية، ٢٠ شارع مصر والسودان.
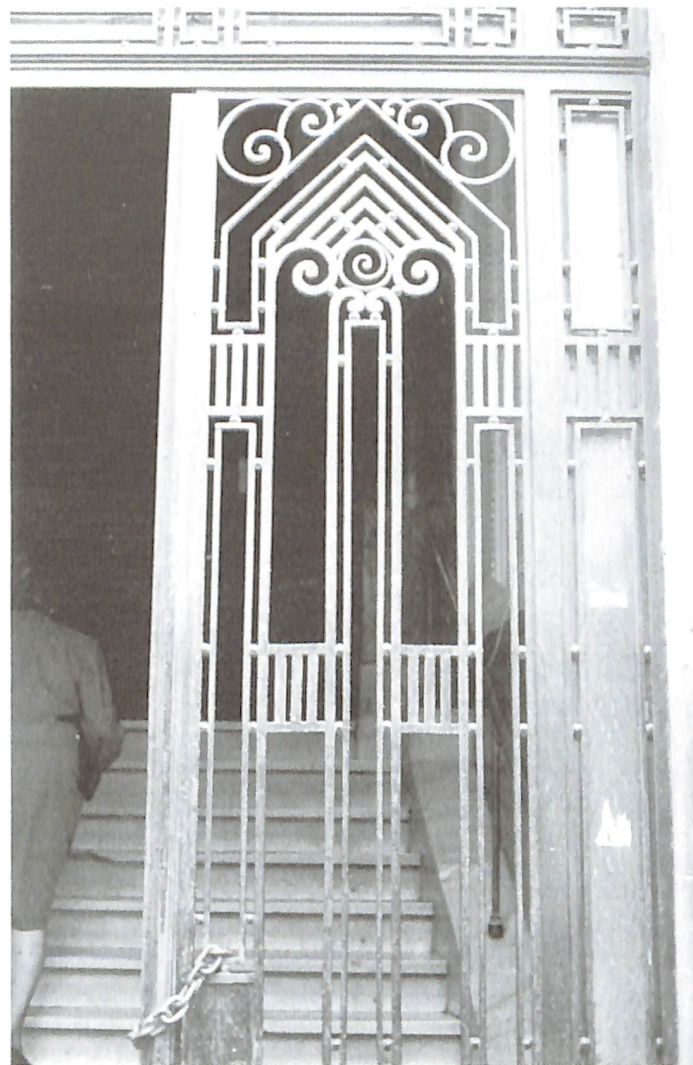
وسط البلد ، مقهى وحلوانى جروبى ، ميدان طلعت حرب .

وسط البلد ، ميدان العتبة ، مكتب البريد الرئيسى .
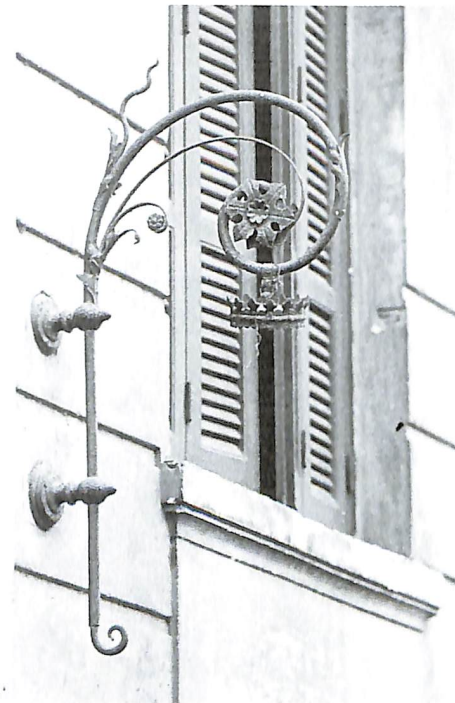
وسط البلد ، شارع ٢٦ يوليو بين شارعى رمسيس وطلعت حرب.

الزمالك ، ٢٤ شارع سراى الجزيرة .

الأبواب

الزمالك ، ٥ شارع محمد ثاقب .

71

جاردن سيتى، ١٠ شارع الطلمبات . المالك الأصلى عمر سرى . أثناء الحرب العالمية الثانية كانت هذه العمارة تضم مكاتب أوليفر ليتلتون وزير الدولة البريطانى لشئون الشرق الأوسط، وكان يشار إليها بـ« رقم ١٠» و«الأعمدة الرمادية » .

الزمالك، ٣ شارع محمد مظهر.

بولاق ، شارع مدينة عباس.

الزمالك ، ٥ شارع الدكتور محمود عزمى.

الظاهر ، ١٥ شارع كامل صدقى (وكذلك شارع الفجالة).

وسط البلد ، ٥ شارع سكة الفضل.

جاردن سيتى ، ٣ ميدان جمال الدين أبو المحاسن.

بولاق ، ٤٢ شارع السلطان أبو العلا.

الزمالك ، ١١ شارع الكامل محمد . المهندس المعمارى جويدو جافاسى .
كان آرون ألكسندر- محامى العديد من الشركات البريطانية في مصر -
يمتلك شقة فى هذه العمارة التى عاش فيها أبا إيبان فترة من الزمن فى
الأربعينيات .

جاردن سيتى، ٣ شارع السراى الكبرى.

الظاهر ، شارع بشارة الكافورى ، قبالة سيف الدين المهرانى.

وسط البلد، ١٤٩ شارع محمد فريد.

المنيرة ، شارع دار العلوم.

مصر الجديدة، ٣ شارع رشدى.

مصر الجديدة ، ١٩ شارع الشيخ الدسوقى.

مصر الجديدة، ١٢ شارع رشدى.
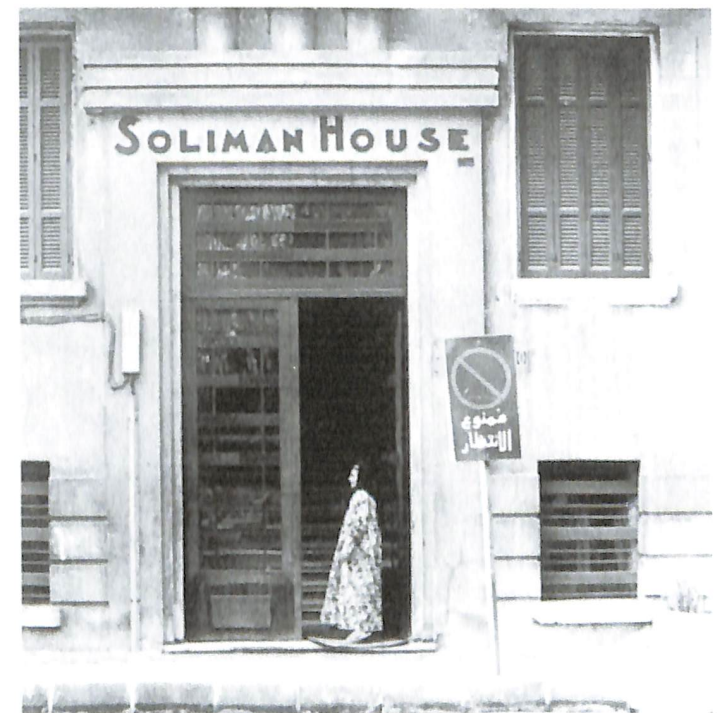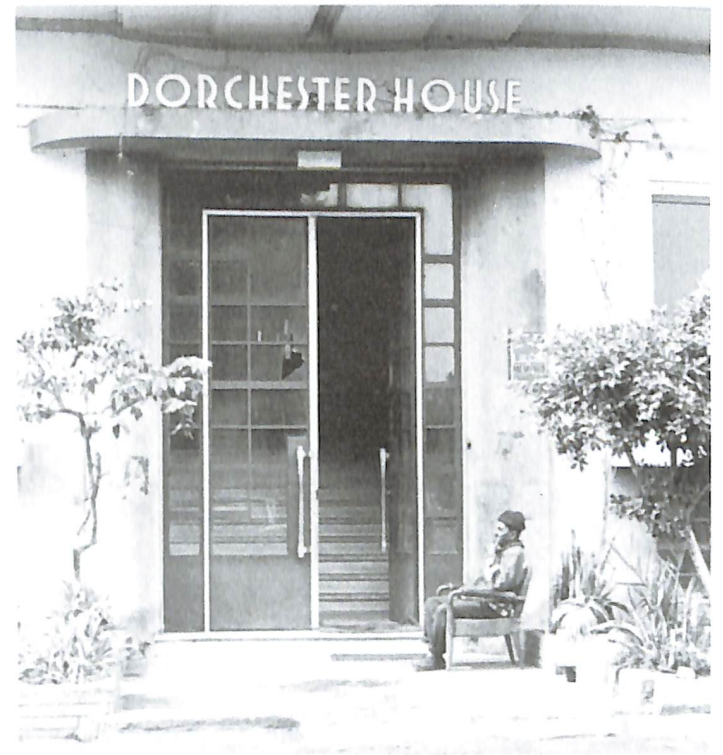
الزمالك ، شارع سراى الجزيرة .

جاردن سيتى، ٥ شارع إبراهيم نجيب باشا.

جاردن سيتى ، ١٨ شارع دار الشفا (وكذلك البالطى) .
بناها نوبار كيفوركيان سنة ١٩٣٠.
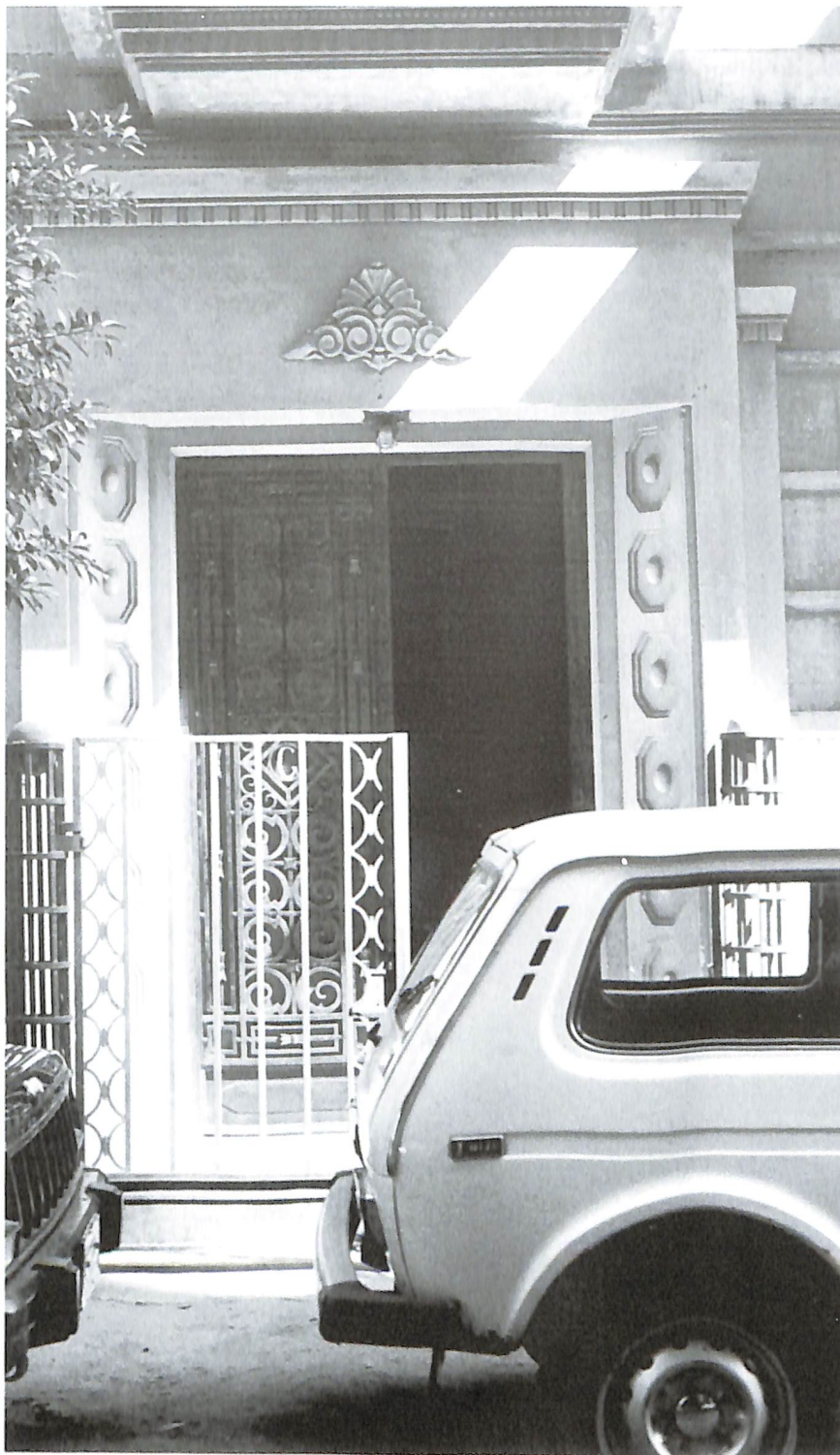
وسط البلد ، ناصية شارعى ٢٦ يوليو (بولاق سابقًا) وطلعت حرب (سليمان باشا سابقًا).
المهندس المعمارى ف . ايرلانجيه . ويضم حاليًا فندق كلاريدج .

وسط البلد، محلات صيدناوى بميدان الخازندار . بناها سنة ١٩١٣ المهندس المعمارى جورج بارك . وهى علي غرار محلات برنتمب بباريس . كان يملكها سليم وسمعان صيدناوى الأخوان اللبنانيات . وكانت بورصة القاهرة بجوارها، بالإضافة إلى لوكاندتى إيدن بالاس وبريستول فى الميدان .

وسط البلد، أوتيل ناسيونال . ناصية شارعى طلعت حرب وعبد الخالق ثروت . يصف كتاب بيديكر مصر الصادر سنة ١٩٠٨ أوتيل ناسيونال بأنه واحد من أوائل فنادق القاهرة وبه « ٣٥٠ غرفة ومصعد وتدفئة بالبخار والإقامة بحوالى ٥٠ قرشا »
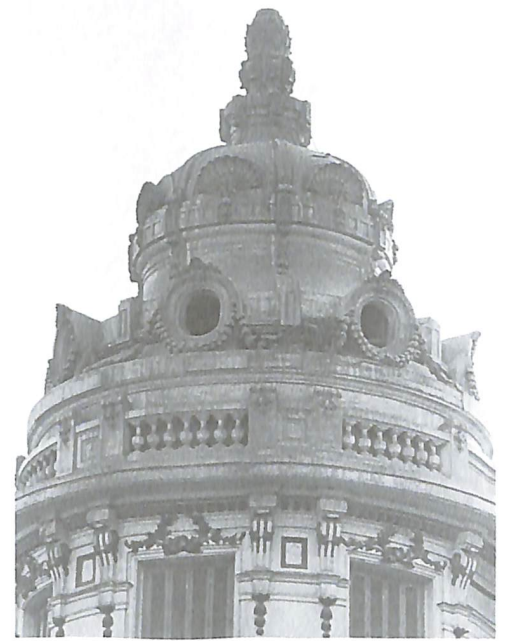
وسط البلد، ٤ شارع طلعت حرب . بنيت حوالى سنة ١٩٢٨

وسط البلد، النادى الدبلوماسى (نادى محمد على سابقاً)، شارع طلعت حرب . بنى ألكسان مارسيل أول طابقين حوالى سنة ١٩١٠ ، وأضاف زوج ابنته الطوابق العليا

وسط البلد، شارع القاضى الفاضل.

وسط البلد ، محلات تيرنج ، ميدان العتبة.
بناها أوسكار هوروفيتس سنة ١٩١٣.
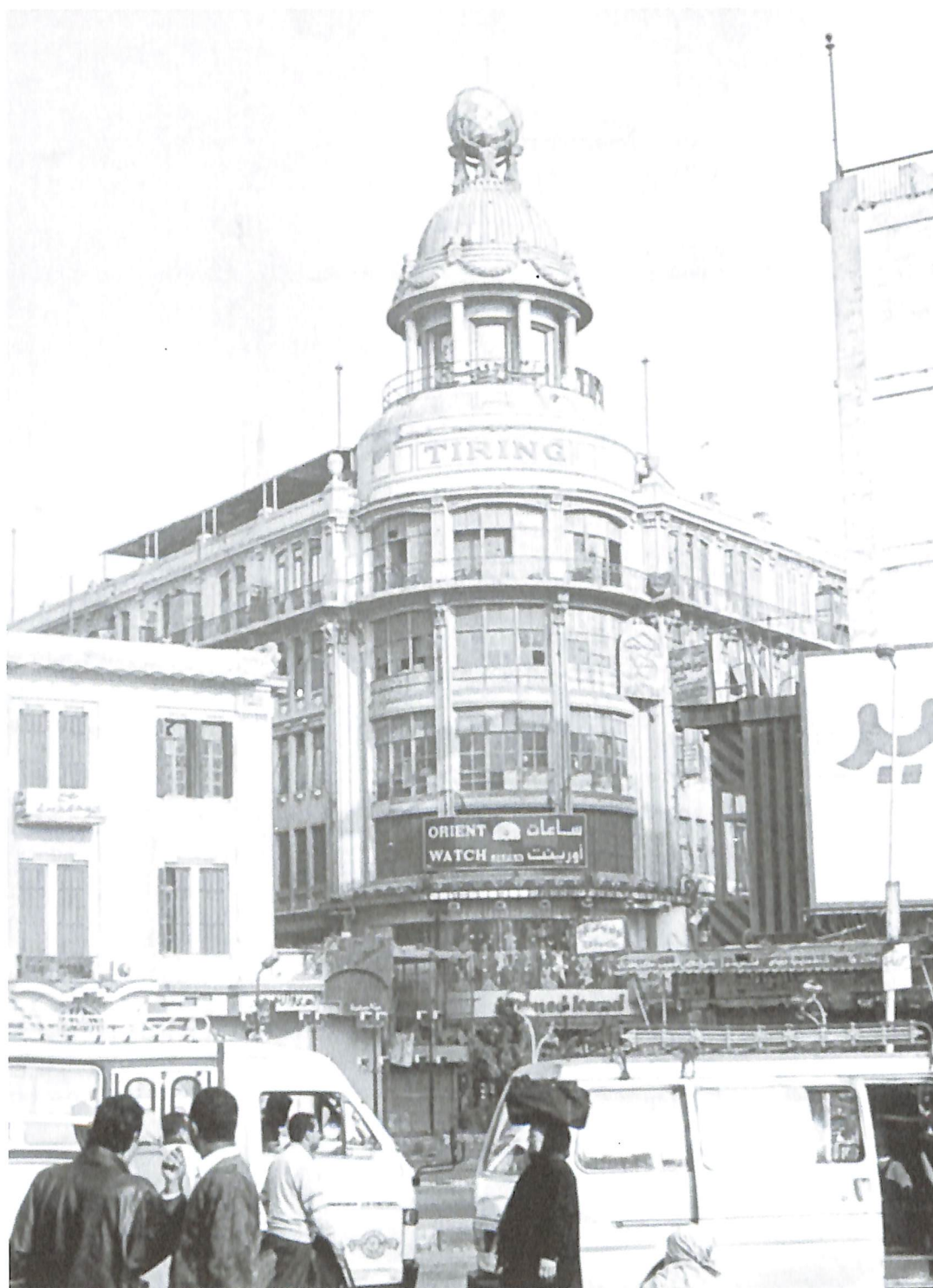
وسط البلد، محلات عمر أفندى (أوروسدى بلاك وشركاه سابقًا) ، ناصية شارعى رشدى باشا وعبد العزيز . المهندس المعمارى راؤول براندون ، ١٩٠٩

الشرفات والكابولى
(الدعامات)

وسط البلد ، شارع الجمهورية (عابدين سابقًا) ، عند قصر النيل ، بالقرب من ميدان الأوبرا .

الظاهر، ٢٧٥ شارع رمسيس.

جاردن سيتى، ١٨ شارع السراى الكبرى . بناها چورچ بارك سنة ١٩٢٥
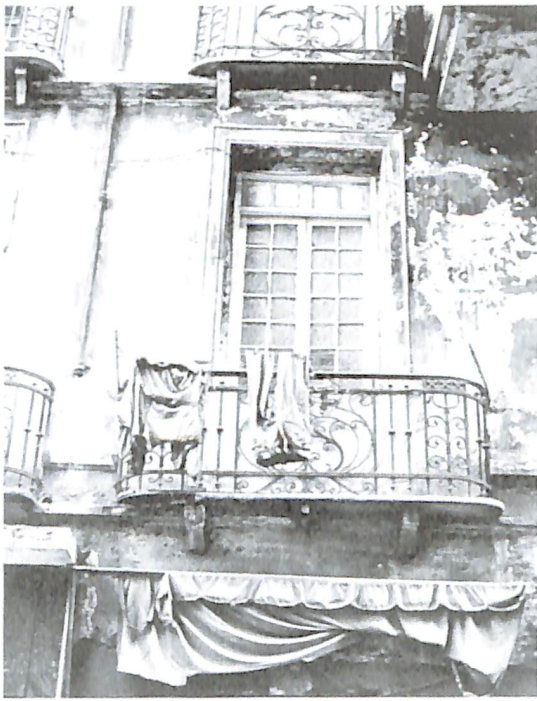
وسط البلد، شارع منشية المهرانى قبالة
شارع يوسف الجندى.

جاردن سيتى، ناصية شارعى عائشة التيمورية (الوالدة
باشا سابقًا) وغاندى . بناها چورچ بارك سنة ١٩١٤

وسط البلد ، محلات جاتينيو ، ١٣ شارع عدلى .

وسط البلد، شارع قصر النيل عند شارع الجمهورية.

وسط البلد، النادى الدبلوماسى المصرى . شارع طلعت حرب.

وسط البلد، نيو هوتيل، ٢١ شارع عدلى . بنى فيما بين عامى ١٨٩٤ و ١٩٠٦ ، وربما كانت عمارة سكنية للأخوين سوارس . ويحتمل أنها من تصميم أمبرواز بودرى.

المنيرة، المعهد الفرنسى للآثار الشرقية . قاد المهندس المعمارى جارو باليان واحدة من عمليات التجديد العديدة التى أجريت فى القصر .

وسط البلد، ٥٠ شارع قصر النيل . بين ميدان مصطفى كامل وميدان الأوبرا .
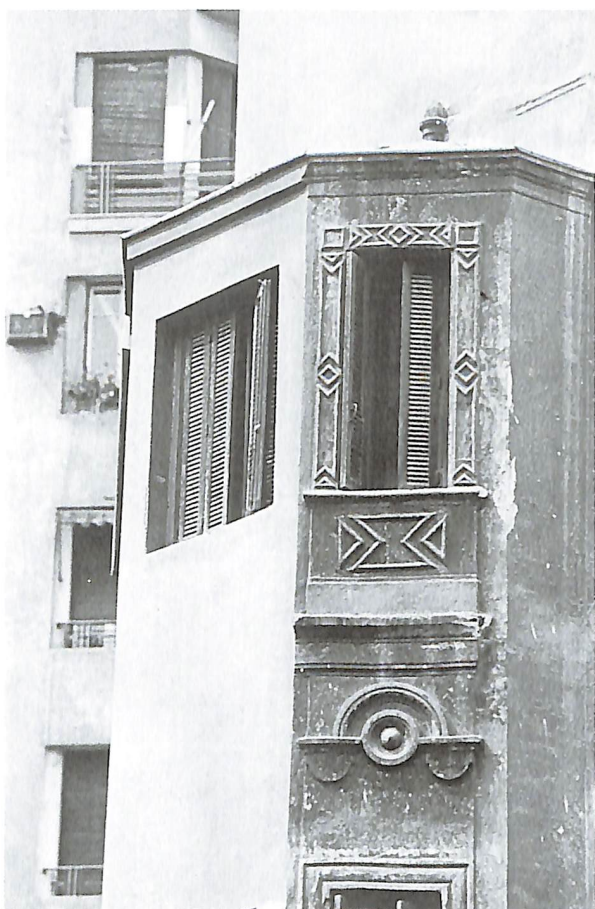
وسط البلد ، عمارة مقهى ريش ، شارع
طلعت حرب
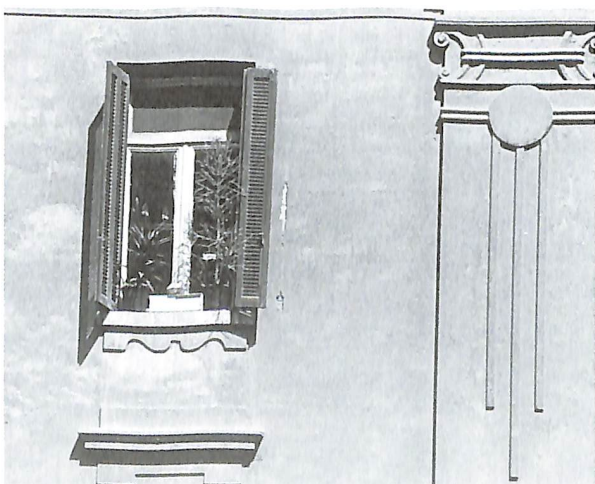
بولاق ، سكة النصر ، قبالة شارع ٢٦ يوليو.
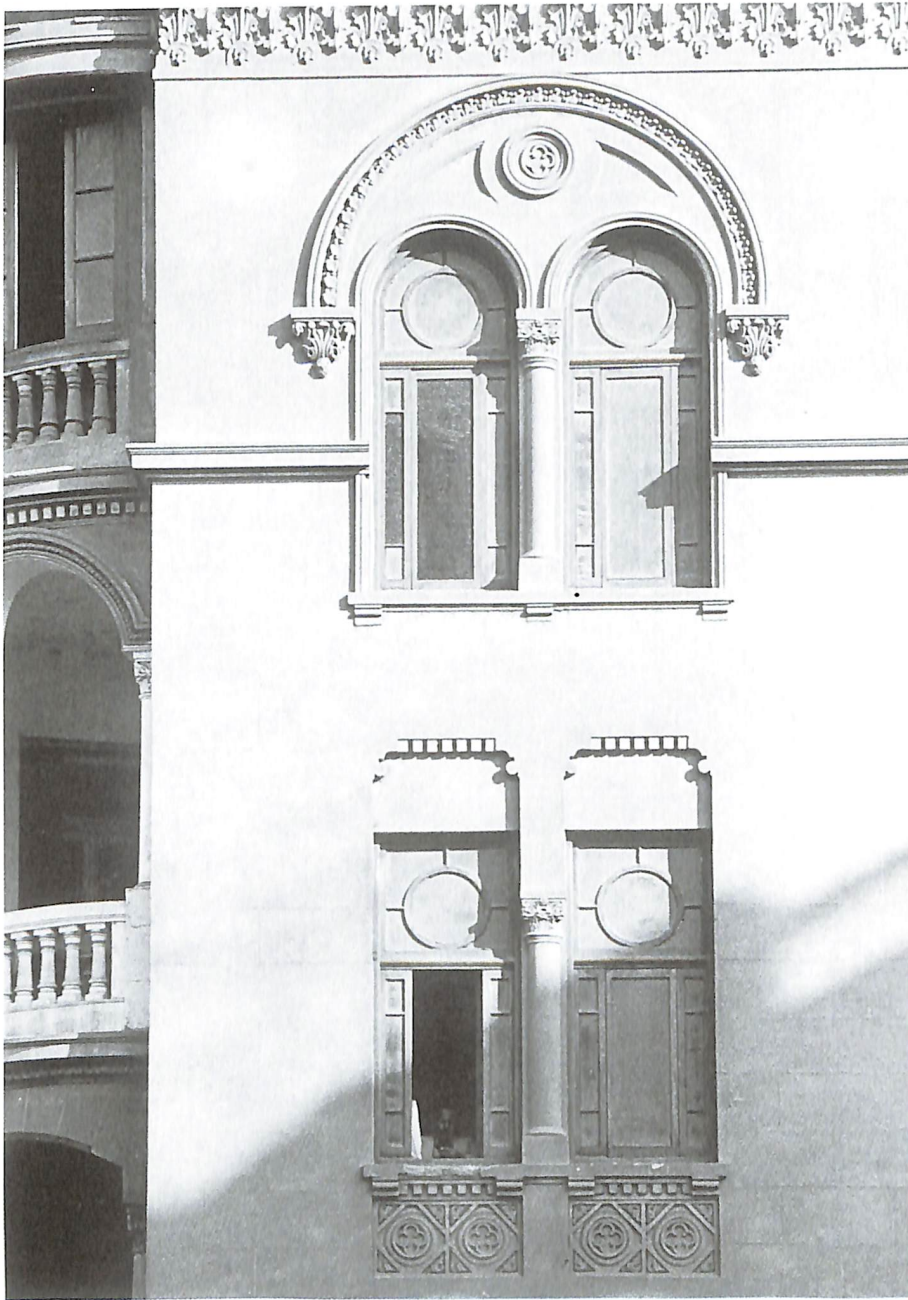
وسط البلد ، شارع علوى .

وسط البلد ، شارع علوى.

وسط البلد، ٢٧ شارع هدى شعراوى.
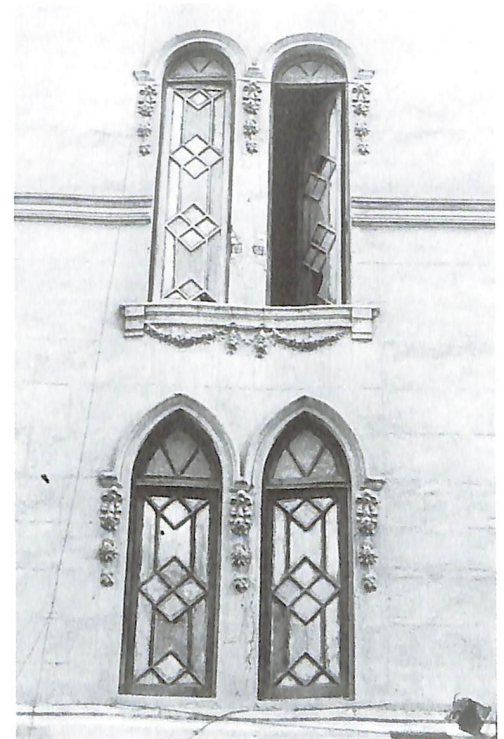
الظاهر ، وقف الخربوطلى ، من شارع الظاهر.

جاردن سيتى، ميدان جمال الدين أبو المحاسن.

الزمالك، جزيرة هاوس ، ٤ عمارات اليمن
تنسب إلى إرنست جاسبر.

وسط البلد : شارع كلوت بك (ويسمى كذلك شارع الخلود). أطلق عليه اسم مؤسس أول مدرسة للطب فى مصر ، وهو الدكتور أنطوان كلوت . ويعد الشارع الذى شيد في حوالى السبعينيات من القرن التاسع عشر ، واحداً من أقدم شوارع القاهرة « الحديثة» . وهو يمتد بين محطة سكك حديد القاهرة فى باب الحديد (التى يسميها الفرنسيون Garepont Limoun "محطة كوبرى الليمون") ، وميدان الخازندار .

جاردن سيتى ، قصر سراج الدين ، ناصية شارعى النباتات وأحمد باشا .

وسط البلد ، النادى الدبلوماسى المصرى ، شارع طلعت حرب.

جاردن سيتى ، فيلا قصد جلى – ميدان قصر الدوبارة .

وسط البلد ، ٩ شارع زكى .

وسط البلد ، ناصية شارعى طلعت حرب (سليمان باشا سابقًا) والبوسطة الجديدة.

وسط البلد ، ١٣ شارع عبد الحميد سعيد من شارع رمسيس

وسط البلد ، ٥ شارع سوق التوفيقية .

وسط البلد ، شارع عبد الخالق ثروت.

وسط البلد، ناصية شارعى الشيخ ريحان ويوسف الجندى .

وسط البلد ، ناصية شارعى نجيب الريحانى وعماد الدين .

وسط البلد، ميدان التحرير.

جاردن سيتى، تقاطع شارع أمريكا اللاتينية مع
شارع رستم باشا.

باب الخلق ، شارع أحمد عمر.

الظاهر، قصر السكاكينى.

وسط البلد، ١٦ شارع البستان.

وسط البلد، ١٣ شارع عبد الحميد سعيد من شارع رمسيس.
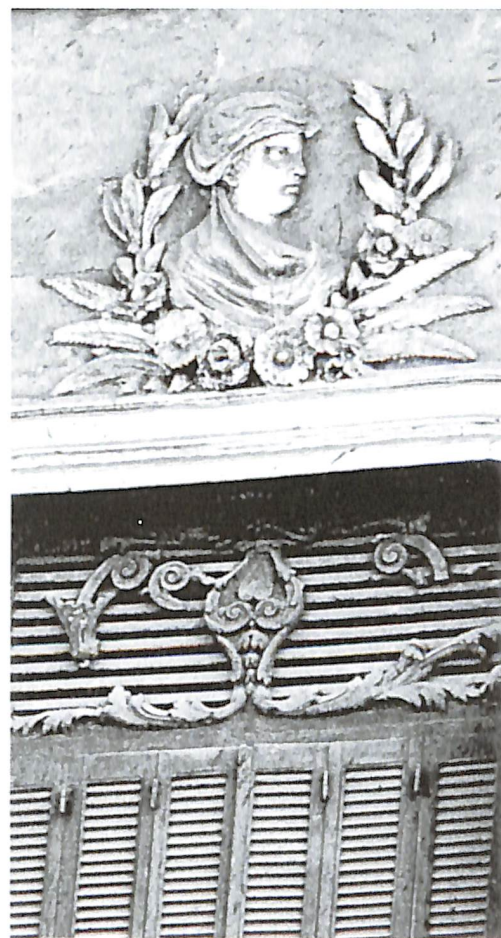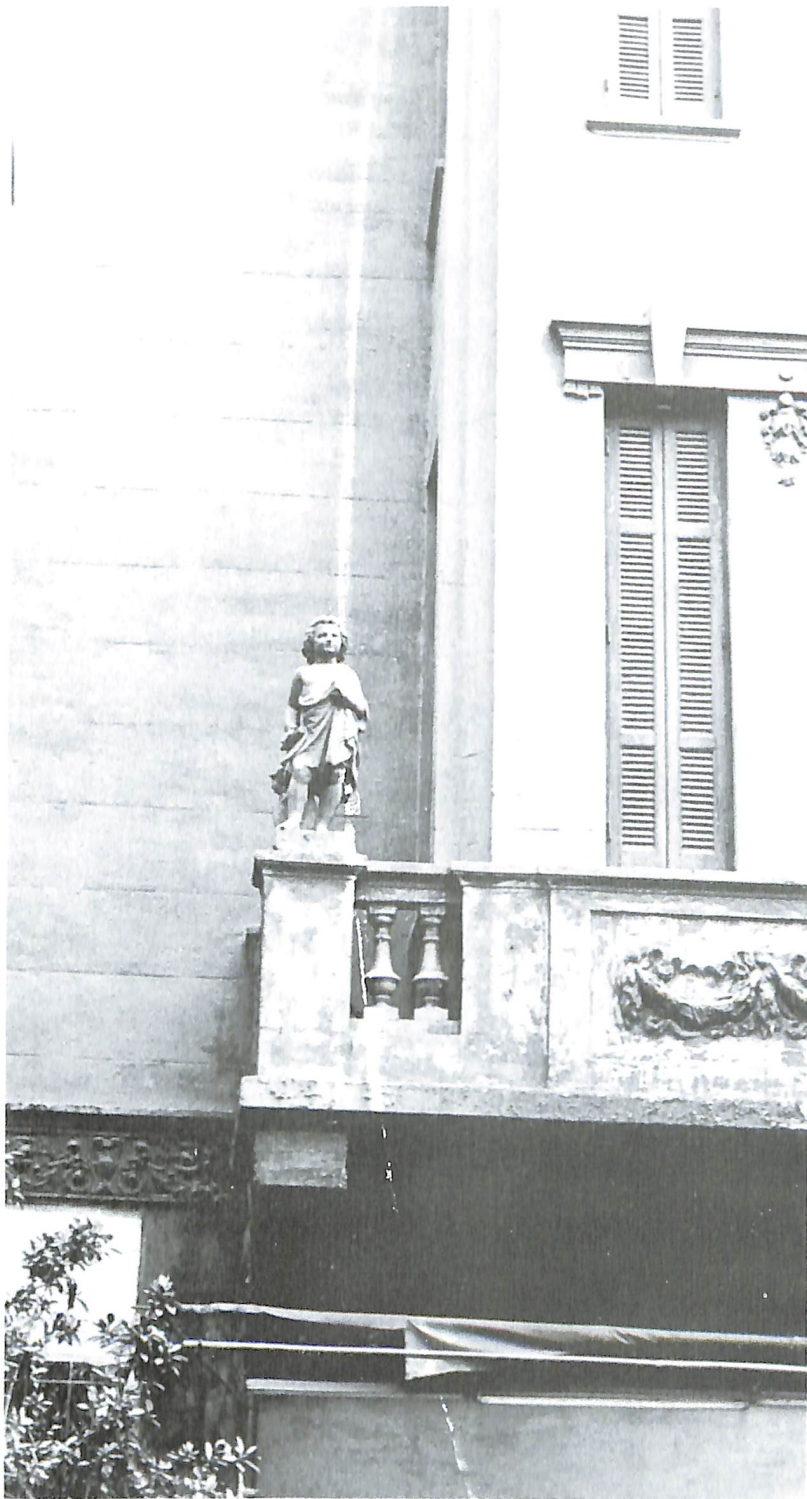
الظاهر، شارع الظاهر.

وسط البلد ، شركة إيطاليا - أدرياتيكا للتأمين ، تقاطع شارع شريف مع شارع محمد مظلوم باشا .
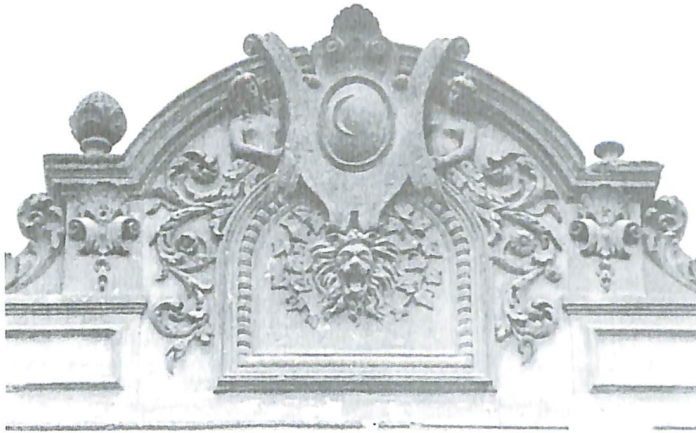
وسط المدينة، تقاطع شارع الشيخ ريحان مع شارع يوسف الجندى.

وسط البلد، عمر أفندى، تقاطع شارع عبد العزيز مع شارع رشدى باشا.
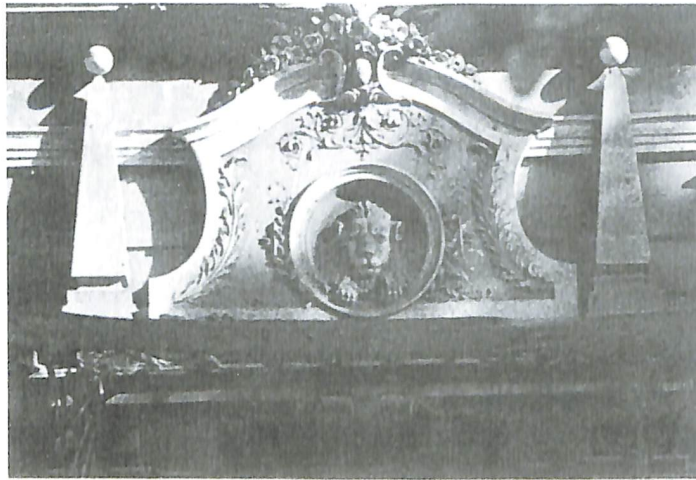
الظاهر، قصر السكاكينى . كتب تحت الأسد « : حبيب سكاكينى ١٨٩٧»

وسط البلد ١٤ شارع عدلى.

جاردن سيتى، قصر سراج الدين ، تقاطع شارع النباتات مع شارع أحمد باشا.

وسط البلد ، ٩ شارع زكى .

جاردن سيتى ، قصر سراج الدين ، تقاطع شارع النباتات مع شارع أحمد باشا .

In reading order (RTL), right image first.

وسط البلد ، ميدان عرابى.

وسط البلد، عمارة محمود شواربي باشا ، تقاطع شارع رمسيس مع شارع ٢٦ يوليو. بنيت سنة ١٩٢٥ وتنسب إلى المهندس المعمارى حبيب عيروط.
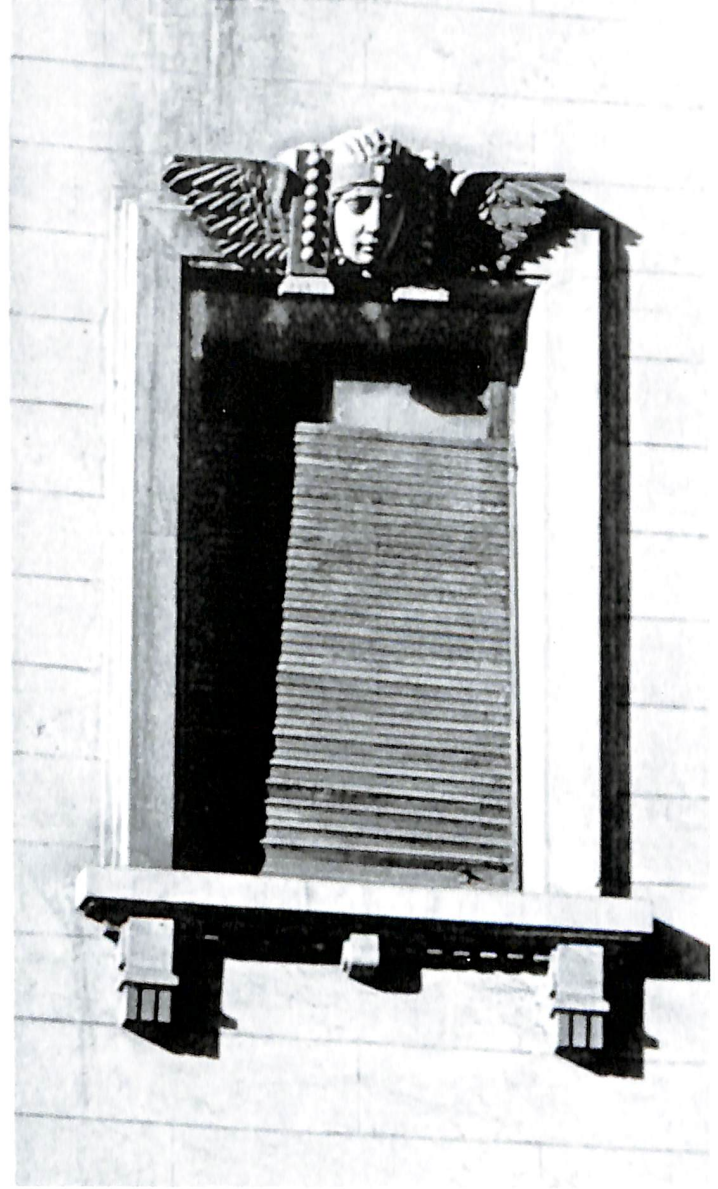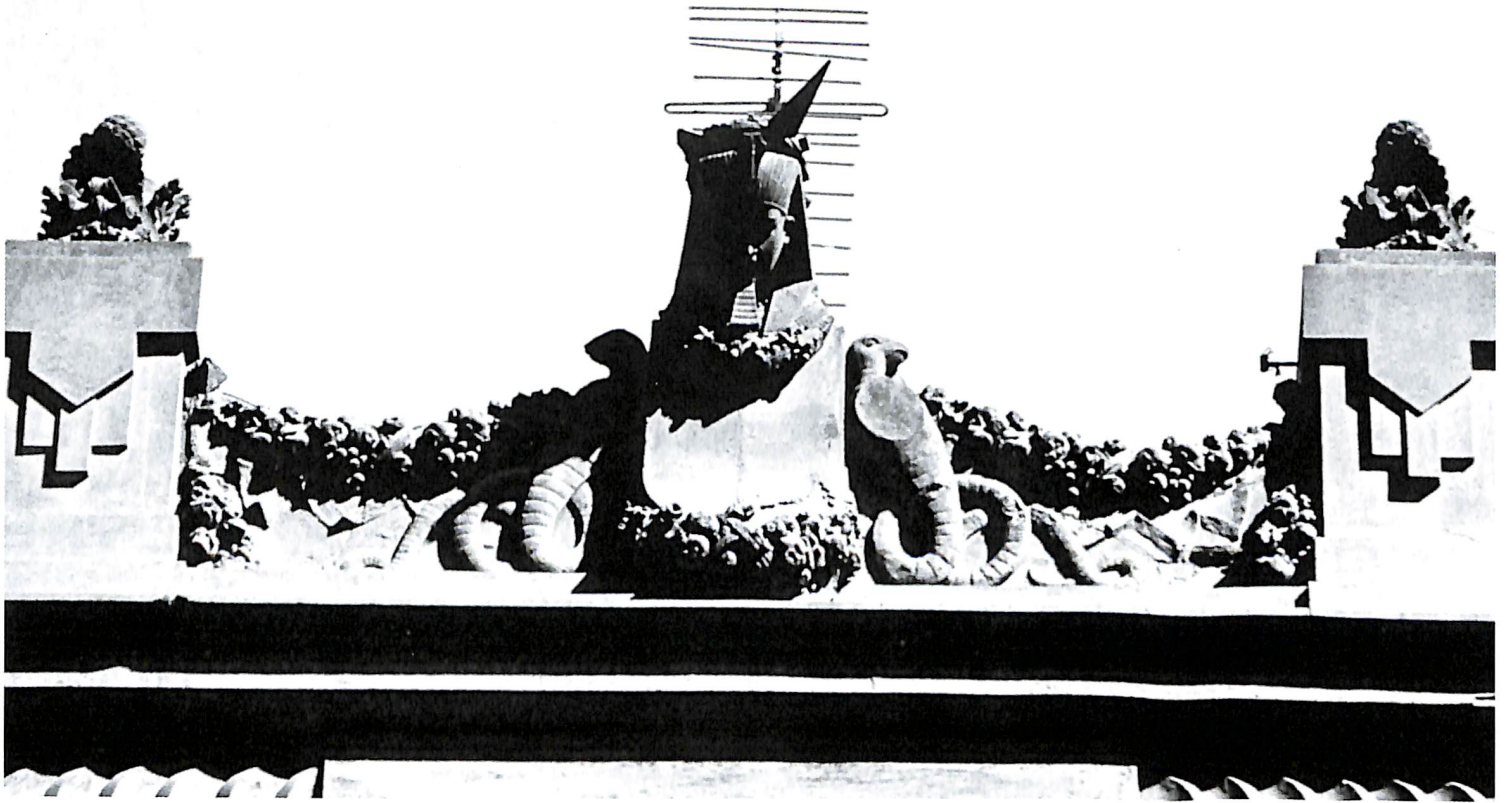
وسط البلد ، نادى دي برنس (ويسمى كذلك نادى دى كارانت) ، تقاطع شارع عماد الدين مع شارع نجيب الريحانى . بنيت لأول مرة سنة ١٨٩٧، وصمم أنطونيو لاسياك الطابق العلوى وبناه سنة ١٩٠٧.

جاردن سيتى ، السفارة البريطانية ، ومبانى أخرى خلفها على امتداد شارع أمريكا اللاتينية من النيل .

وسط البلد، ميدان مصطفى كامل، مثال للواجهات الجصية المفرغة ، وقد تداعت الآن .

جاردن سيتى ، ٥ شارع أحمد باشا . مثال للكابولى الجصى الذى فى حاجة إلى إصلاح .
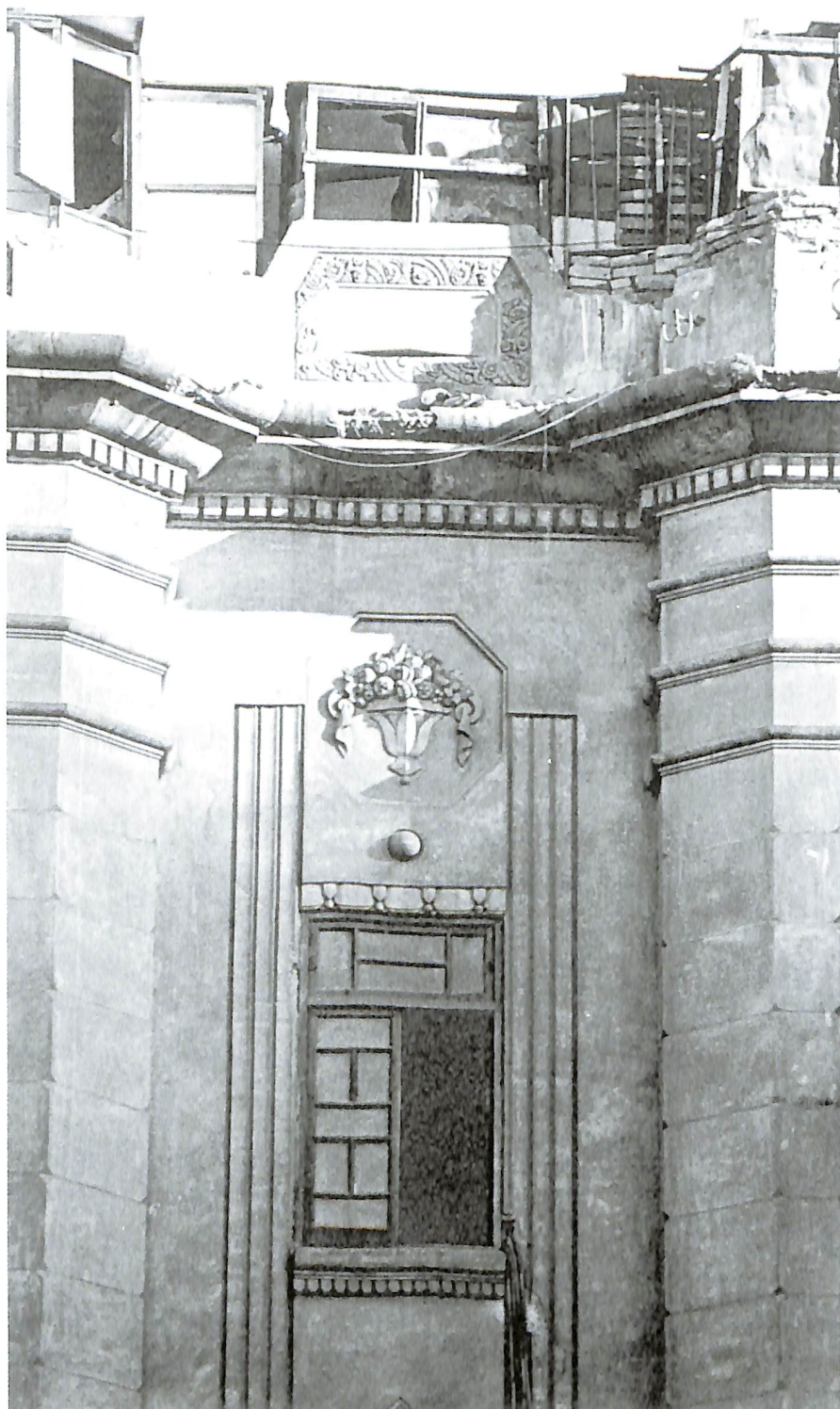
جاردن سيتى ، ٧ شارع البرجاس . مثال للبناء غير الرسمي على الأسطح .

خاتمة

"فى كل مرة يهدم فيها مبنى ، يضيع جزء من تاريخ القاهرة إلى الأبد."

نقلاً عما قاله الأستاذ الدكتور صلاح زكي في "الأهرام ويكلي"، ٤-١٠ أبريل ١٩٩٦.

إن كثيرًا من مباني القاهرة التي تعود إلى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين في حالة خطيرة، ويبدو أن قرارات مجلس الوزراء التي تمنع هدم المباني ذات القيمة المعمارية لا تحول دون التحلل أو التدمير. ذلك لأن قوة الاقتصاد تؤيد اندثارها. والواقع القاسي هو أن قاهرة الخديوي إسماعيل وعلى مبارك، التي كان يقصد بها إدخال النظام والصحة والبهجة في المدينة، تستسلم الآن لنفس القوى الحديثة التي تفرض التحلل في أنحاء عالمنا اللامبالي.

ومع ذلك ، فإنه بينما توشك مباني بداية القرن بالقاهرة على الفناء، نجد أن هناك اهتمامًا جديدًا بها. وحتى عهد قريب كانت عناصر معمارية يتيمة، وتذكارات مرئية لماضي القاهرة المهزوم. والآن يتساءل المفكرون والقادة السياسيون المصريون عن هذا الإهمال ويعيدون استكشاف قيمة "العصر الكوزموپوليتاني". وفي الوقت الذي تصبح فيه القاهرة أكثر وأكثر خليطا متنافرا من الخرسانة شأن سائر مدن العالم، يظهر الحنين إلى قاهرة العصر الجميل.

وفي أوائل ١٩٩٧، بدأت مكتبة مبارك والأهرام ويكلي ولجنة فولبرايت حملة قومية لوقف تدمير التراث المعماري الحديث في القاهرة. وترأس السيدة سوزان مبارك حرم السيد رئيس الجمهورية هذه الحملة التي تستهدف خلق وعي عام، وتجميع سجل قومي للمباني المهمة، والتخطيط للحفاظ عليها وترميمها وإعادة الاستفادة منها. وتقوم كذلك جمعية الحفاظ على تراث القاهرة المعماري، وهي منظمة أهلية، بنشاط فعال.

ومن السابق لأوانه معرفة مدى النجاح الذي ستحققه جهود الحفاظ هذه ، إلا أن المرء لا يمكنه أن يمنع نفسه من التحمس لاستعادة هذا الجزء الصغير من تاريخ مصر الطويل ، والشعور بالأمل بأن إعادة التقييم هذا سوف يؤدي إلى رؤية أكثر تدرجًا لتراث القاهرة المادي الثري. لقد كانت قاهرة أواخر القرن التاسع عشر بحق جزءًا من عوالم كثيرة متداخلة. والواقع أن القاهرة بأهميتها الكونية وتعقدها الكوزموبوليتاني، لم تكن مجرد نسخة من باريس، بل كانت أكثر من باريس.

وسط البلد ، ميدان مصطفى كامل.

وسط البلد ، ميدان طلعت حرب ، عمارة بهلر ، بناها المهندس المعمارى ليونافيليان على أرض فندق سافوى سنة ١٩٣٤.

خريطة
Zamalek
12
Ramsis Street
to Abbas
and Heli
Bulaq
al-Daher
9
Clot Bey Street
8
Ramsis Street
10
26th of July Street
13
Talaat Harb Street
6
7
Downtown
5
11
Qasr al-Nil Street
4
Abd al-Aziz Street
Muhammad Farid / Imad al-Din Street
1
3
2
al-Shaykh Rihan Street
Corniche al-Nil
Bab
al-Khalq
1 Midan Tahrir
2 Midan Qasr al-Dubara
3 Midan Falaki
4 Midan Talaat Harb
5 Midan Mustafa Kamil
6 Midan al-Opera
7 Midan Ataba
8 Midan Khazindar
9 Midan Ramsis
10 Midan Urabi
11 Egyptian Antiquities M
12 Ramsis Railway Station
13 Azbakiya Gardens
Underground
Based on City-Map of Cair
copyright © P. Geday 1988
Garden
City
Munira
Qasr al-Aini Street
River Nile
Citadel
0
250
500

المؤلفة في سطور :

سينثيا مينتي التى عاشت علي نيل القاهرة لمدة عشر سنوات تقريبًا ، عالمة أنثروبولوچيا ودارسة للوطن العربي . وهوايتها التصوير الفوتوغرافي للعمارة .

المترجم في سطور:

أحمد محمود

حاصل على ليسانس الآداب فى اللغة الإنجليزية، ودبلوم الدراسات العليا في الترجمة ، وعضو اتحاد الكتاب ونقابة الصحفيين ، وحاصل على جائزة محمد بدران في الترجمة من المجلس الأعلى للثقافة عن كتاب « طريق الحرير » . ومن ترجماته « الناس في صعيد مصر » ، و« عالم ماك » ، و« صناعة الخبر »، و«تشريح حضارة » و « التحالف الأسود » ، و«الفولكلور والبحر» و«مصر أصل الشجرة » و« الرقابة والتعتيم في الإعلام الأمريكي» و«أبناء الفراعنة المحدثون ». كما يسهم بترجماته في مجلة «وجهات نظر» منذ إنشائها .

المراجعة في سطور :

جليلة القاضي

مديرة أبحاث بالمركز الفرنسي للأبحاث من أجل التنمية ، حصلت على بكالوريوس العمارة من جامعة القاهرة وحصلت على الدكتوراه في التخطيط الإقليمي والعمراني من معهد التخطيط بباريس ، تتركز الأبحاث التي تقوم بها في مجال الحفاظ على التراث ولها العديد من الكتب والمقالات العلمية .